



شرح لستة وعشرين اسمًا من



لفضيلة الشيخ الدكتور:

حسن بن عبد الحميد بخاري

المدرس بالحرم المكي

المُجمع

برنامج (ثمرات) التابع لجمعية معرفة بالمدينة المنورة
عبر مواقع التواصل الاجتماعي: واتس آب، تليجرام

الفهرس

اللقاء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(البارئ)

أسعد الله أوقاتكم بطاعته ومرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لقد كان نَبِيّنَا صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يثني عَلَى ربه فيحسن الثناء، وكان مِمَّا أثنى به عَلَى ربه عَزَّ وَجَلَّ أنه وصفه بكونه برأ المخلوقات وذرأها وخلقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

في الحديث الَّذِي حسنه الألباني -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- فيما روى الإمام أحمد، أن النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما كادته الشياطين وتحدرت عليه من رؤوس الجبال، وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، قَالَ: فرعب، فأتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: **قل**: «**أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّوَلَا فَاجِرٌ، مِن شرِّمَا ذَرَأَ وَخلقَ وبَرَأَ، ومِن شرِّمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ، ومِن شرِّمَا يَعْرُجُ فِيهَا، ومِن شرِّمَا ذَرَأَ فِي الأرضِ، ومِن شرِّمَا يخرجُ مِنْها، ومِن فِتَنِ الليلِ والنَّهارِ، ومِن شرِّكلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍيَا رَحْمَنُ!**»، قَالَ: **فَطَفِئَتْ نارُالشَّيَاطِين، وهَزَمَهُمْ اللهُ تَعَالَى**.

برأ سُبْحَانَهُ خلقه: أي: بثهم وأوجدهم ونشرهم بين الخلائق، فسبحان الباري جَلَّ فِي عُلَاهُ!

في سورة البقرة، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌلَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)**﴾ [البقرة: 54].

هاتان مرتان متجاورتان جاء فيهما اسم الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والباري في اللغة يأتي بمعنى خلق، فإنه اسم فاعل من برأ، وبرأ فعل من الأفعال الَّتِي تدل عَلَى معنى الخلق والإيجاد.

ولهذا جاء اسم الباري الْثَّالِث في القرآن الكريم مجاورًا للفعلين والاسمين المشتملين عَلَى الخلق والتصوير في ختام سورة الحشر: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)**﴾ [الحشر: 24].

وبرأ في اللغة: تدل عَلَى معنيين أصليين كما يقول أهل اللغة:

- أَحَدُهُمَا: الخلق، كما في قوله تَعَالَى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: 54]؛ أي: إِلَى الله خالقكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- وَأَمَّا المعنى الآخر: فهو التباعد عن الشيء، ومنه قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما خرج من عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ -في مرضه الَّذِي مات فيه- فخرج من عنده وسأله الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أصبح بارئًا بحمد الله، يعني معافىً من المرض الَّذِي كان قد ألم به، والوجع الَّذِي نزل به صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

ومن هذا المعنى اللغوي: جاء اسم الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنه الخالق لخلقه من عدم، وهو واهب الحياة للأحياء، وهو جَلَّ جَلَالُهُ الباري الخالي من العيوب، السالم من الآفات، فالباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما يدل عَلَى معنى الخلق -وفيه العظمة والقدرة الإلهية- فإنه يدل عَلَى معنى الكمال والسلامة من العيوب والآفات، والتنزه عن النقائص، وما لا يليق بِالْرَّبِّ الكريم فسبحان الباري جَلَّ فِي عُلَاهُ.

ربنا الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أي: الخالق، وإن كان اسم الباري يحمل مزية في الاختصاص في معنى الخلق، فإنه يحمل معنى فصل الخلائق وتمييزها عن بعضها، لأن أحد معنيي برأ: التباعد عن الشيء -كَمَا تَقَدَّمَ-، وقد ذَكَرَ بعض أهل العلم تمييزًا بين اسم الخالق واسم الباري، بأنهما يشتركان في معنى الخلق والإيجاد -كَمَا تَقَدَّمَ- أيضًا.

يقول الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: الباري أي الخالق، وقيل: أي المبدع الموجد خلقه عَلَى غير مثال ونظير سبق، ولذلك قَالَ ابن كثير أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: البارئ الخالق، ولما فرق بينهما قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الخلق هو التقدير، وَأَمَّا البرء فهو إبراز وتنفيذ ما قدره وقرره إِلَى الوجود، فجعل بين المعنيين فاصلًا يتميز كل واحد منهما عن الآخر.

أما الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ فقد ذهب إِلَى أن برأ واسم الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يختص بالخلق المتعلق بعالم الحيوان، وَأَمَّا الخلق فهو أعم، يشمل الجمادات وغيرها، فالخلق يشمل السماء والأرض والجبال، قَالَ: وقلما يستعمل فيها اسم الباري، فما يقال: برأ السماء وبرأ الأرض، لكن المقصود بث الحياة في مخلوقاته الأحياء، وهنا يتميز بين الاسمين معنى نجده فارقًا لأنه ليس في أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المتغيرة ترادف تام من كل وجه.

ومنه ما كان يقسم به علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عندما يقول: لا وَالَّذِي فلق الحبة وبرأ النسمة.

يا كرام، ربنا الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي برأنا وخلقنا وذرأنا وأوجدنا من العدم، رب عظيم، هذَا الاسم يستوجب فِي النفوس كمال التعظيم والتوحيد لله الباري، لأنه لا أحد يشاركه فِي هذَا الاسم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخلقه إن كانت لهم فضل صنعة وإيجاد فِي شيء مِمَّا سخرها لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن البرء أمر تفرد الله جَلَّ جَلَالُهُ به.

فلنجعل فِي توسلاتنا إِلَى الله، ودعواتنا الَّتِي نجعل فيها من أسمائه الحسنى وصفاته العلا ما تشعر به النفس تعظيمًا وإجلالًا تستدر به رحمة الله وعطفه، وتستنزل قضاء حوائجها اسم الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

واعلموا أن البارئ الَّذِي خلقنا وأحسن تصويرنا وأوجدنا من عدم، وسلمنا من العيوب، وما زالت أفضاله علينا تترى كريم عظيم، ننشأ وننشئ أجيالنا عَلَى تعظيمه وكمال حبه وَالتَّعَلُّق به جَلَّ جَلَالُهُ، كلما أبصر أحدنا نفسه فِي المرآة فرأى فيها كمال الخلقة واستوائها، وجمال الصورة وحسنها، وسلامتها من العيوب والنقائص، وقدرته عَلَى حياة يعيش بها بين الأحياء.

فليعلم أن البارئ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الخالق العظيم، الَّذِي خلقه فصوره وأحسن خلقته، رب كريم إِنَّمَا يستحق كمال العبودية الَّتِي خلقنا الله تَعَالَى لأجلها.

اللقاء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

(الباعث)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

ذَكَرَ بعض المفسرين مثل: مجاهد وقتادة والسدي وعروة بن الزبير وغيرهم رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ، أن أبي بن خلف، وقال بعضهم إنه العاص بن وائل السهمي، أنه جاء إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي يده عظم رميم وهو يفتته ويذريه فِي الهواء، ثُمَّ يقول: يا مُحَمَّد أتزعم أن الله يبعث هذَا؟

فَقَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَم، يميتك اللَّه ثُمَّ يحييك ثُمَّ يحشرك إِلَى جَهَنَّم**».

قيل: فنزلت الآيات الأخيرة من سورة يس: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)**﴾ [يس: 77 - 79].

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8)﴾ [التغابن: 7، 8].

ليس في كتاب الله الكريم ورود اسم الباعث لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكنما جاءت الأفعال الَّتِي تثبت صفة البعث لله جَلَّ جَلَالُهُ، في مثل قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)﴾ [البقرة: 56].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: 7].

ومنه أيضًا قول ربنا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

وَأَمَّا فِي السُّنَّة: فقد ورد اسم الباعث في الحديث الذي روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيما أخرج الأئمة الترمذي والبيهقي وابن حبان في صحيحه، الَّتِي فيها سرد الأسماء الحسنى: «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة».

وجاء في سياق تعدادها اسم الباعث لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذَا اسم الباعث المشتمل عَلَى معنى البعث يعود في اللغة إِلَى معنى الإنهاض والاستثارة، يقال: بعث بعيره أي: أثاره فاستنهضه، وبعث خادمه أو غلامه؛ أي: أرسله.

قَالَ الليث: والبعث في اللغة يأتي عَلَى معنيين:

- أَحَدُهُمَا: الإرسال، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: 36].

وقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [يونس: 74].

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (75)﴾ [يونس: 75].

- وَأَمَّا المعنى الثَّانِي: فهو الإنهاض والإخراج والإحياء، ومنه قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: 7].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)﴾ [البقرة: 56].

وعَلَى هذين المعنيين يتنزل اسم الباعث سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن الله يبعث خلقه؛ أي: يخرجهم من قبورهم ويحييهم وينشرهم ليوم القيامة والعرض والجزاء والحساب، والله أيضًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد بعث رسله مبشرين ومنذرين، وبلغهم وحيه وشريعته لأجل تبليغها للأمم، ودلالتهم عَلَى صراط الله المستقيم، ودينه القويم، فسبحان ربنا الباعث سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قضية البعث بعد الموت؛ جزءٌ من القضايا القرآنية الَّتِي تكرر ورودها في القرآن، إذ كانت بصدد إثبات هذِه القضية لكفار قريش فإنها كانت إحدى مسائل العقيدة التي تنزل الوحي بها، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: 7، 8].

إنه البعث الَّذِي كابرت فيه قريش وسائر كفرة العرب زاعمين أنه لا حياة بعد الموت.

هذِه القضية الَّتِي تعيد للعقل البشري توازنه، وتفكيره في الحياة وما بعد الحياة؛ الَّتِي ألقت بظلالها اليوم في ماديتها الطاغية حَتَّى أنست طوائف من البشر ما الَّذِي ينتظرهم بعد الموت؟

إن عقيدتنا -أمة الإسلام- تقوم في أحد أركانها عَلَى الإيمان باليوم الآخر، وأول مراحله وأجزائه البعث من القبور، والإخراج، والإحياء والنشور.

في صحيح البخاري، أن رجلًا أتى النَّبِي عَلَيْه الصلاة وَالسلام وهو بارز إِلَى الناس، فَقَالَ: ما الإيمان؟، فَقَالَ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْإِيمَانِ أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وبلقائه وبالرسل وَبِالْبَعْثِ».

الإيمان باليوم الآخر حياة أخرى، عقيدة تنشئ في حياة المسلم توازنًا واستقرارًا، فَأَمَّا الطائع المجتهد في طاعته فلا يزال حريصًا عَلَى الاستمرار كسبًا لحسنات يحب أن تبيض بها صحيفته، ويسر يوم يلقى الله.

وَأَمَّا المقصر والخائف والمفرط عَلَى نفسه فلا يزال يتيقظ بين الحين والحين وواعظ الإيمان في قلبه يذكره أن انتبه عبد الله، فإن بعثًا قريبًا ينتظرك، وستقابل الله عَزَّ وَجَلَّ.

كان مطرف بن عبد الله بن الشخير رَحِمَهُ اللَّهُ يوصي أصحابه، فيقول: أَيُّهَا الناس اجتهدوا في العمل، فإن كان اللقاء غدًا كما نحب ونرجو من رحمة الله وعفوه، كانت الحسنات والدرجات، وإن كانت كما نخاف ونحذر لم نقل: ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الَّذِي كنا نعمل، بل نقول: قد عملنا فلم ينفعنا.

هذَا هو حال الأكياس الصالحين؛ الذينَ أثنى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عليهم في كتابه الكريم من إيمانهم بالبعث وربنا الباعث سُبْحَانَهُ الَّذِي أخبر بهذا في سورة (المؤمنون): ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60)﴾ [المؤمنون: 60].

أرأيتم كيف يصنع الإيمان بالباعث في حياة قلوب أصحابها المؤمنين؟! قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61)﴾ [المؤمنون: 61].

نسأل اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يلحقنا بهم جميعًا بفضله وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

اللقاء الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(البديع)

مرحبًا بكم أَيُّهَا الأَحِبَّة الكرام.

في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كنت جالسًا مع النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد دعا، فَقَالَ: "اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْت، الْمَنَّان، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ"، ثُمَّ سأل، فَقَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى».

في موضعين اثنين من كتاب الله الكريم جاء اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى البديع:

- ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ(117)﴾ [البقرة: 117].
- ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101)﴾ [الأنعام: 101].

بديع هو اسم الله البديع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فربنا بديع في ذاته؛ أي: لا نظير له في ذاته ولا في صفاته، ولا في خلقه ومصنوعاته، فهو البديع الْمُطْلَق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهذَا أحد المعنيين في اسم الله البديع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا المعنى الآخر: فأنه جَلَّ جَلَالُهُ لعظمته وعظيم خلقه فقد خلق الخلق وأنشأه عَلَى غير مثال سابق يحتذى، فأبدع خلق السماوات والأرض والجبال والشجر والحجر والإنسان.

بديع ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في خلقه، أنشأه عَلَى غير مثال سابق فكان عَلَى نحوٍ يبعث عَلَى تعظيم الله بما هو أهل له جَلَّ فِي عُلَاهُ.

ومن هنا جاء الموضعان اللذان ذُكر فيهما اسم الله سُبْحَانَهُ البديع؛ لربط السياق بتعظيم يليق بربنا البديع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

- في الآية الأولى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (117)**﴾ [البقرة: 117].
- وفي الأخرى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101)**﴾ [الأنعام: 101]

هذَا ربنا البديع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يذهلنا كثيرًا ما نقف عليه في بعض مظاهر العظمة الَّتِي تلتقطها العدسات أو تكتشفها الدراسات، فيما تصوره العدسات وتحللها كثيرٌ من الأبحاث المتخصصة في جوانب الخلق الفسيح من حولنا في الكون، في عالم البحار أو الفضاء، في عالم الطيور أو الحشرات، خلقٌ عجيبٌ بديع، يثير فينا الدهشة في تنوعها، في تعدد أصنافها، في دقة ما يحتويه خلقها من إبداع.

إن كان يذهلنا عظمة الصنع وعجيب الإبداع، فكيف بعظمة الخالق البديع سُبْحَانَهُ، والله إن ذلك ليحيي روح الإكبار والإجلال والتعظيم لربنا الخالق البديع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

بديع السماوات والأرض: هذا الإبداع الَّذِي ننظر إليه في دنيانا -يا بني آدم- ويعيش عَلَى وجه الأرض اليوم سبعة مليارات أو ثمانية من الإنسان يختلفون في كل شيء، فلكل واحدٍ من هذَا العدد المهول الضخم بصمة أصبع تميزه عن الجميع، وبصمة عين، وقزحية يختلف بها عن الكل.

فضلًا عن بصمة الدم والبصمة الوِرَاثِيَّة، وقل مثل ذلك في رائحته ونبرة صوته الَّتِي تتميز بها كل شخصية عن الآخر، شيء مهول، هذا إذا ألقيت نظرة عَلَى جنس البشر وحدهم، وهم خلقٌ من خلق الله العظيم في هذَا الكون الفسيح.

والله يقول: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (57)﴾ [غافر: 57].

إن جزءًا من تقوية إيماننا -أمة الإسلام- وارتباطنا بخالقنا وشدة حبنا وإجلالنا لربنا سُبْحَانَهُ أن نعيش مع معاني هذِه الأسماء عيشًا يحيي في ضمائرنا تعظيمنا لله، وإكبارنا وإجلالنا لخالقنا جَلَّ فِي عُلَاهُ، إن البديع سُبْحَانَهُ الَّذِي أبدع خلقه، وأحسن كل شيء خلقه، ليقودنا في آياته وملكوته قيادة نهتدي بها إِلَى عظمته الَّتِي تفرض علينا طاعته ولزوم حده، والتزام أمره ونهيه، لنلقاه وهو راضٍ عنا غير غضبان، سُبْحَانَهُ من إله عظيم.

اللقاء الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(البر)

حياكم الله أَيُّهَا الكرام.

إذا دخل أهل الجَنَّة الجَنَّة، وتنعموا بنعيمها المقيم، وحلوا بالقصور والدور والدرجات العالية، في ذلك المقام تتفاوت درجات أهل الجَنَّة بحسب مراتبهم وأعمالهم، وكرم الله عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي ينالهم.

تتفاوت الدرجات، فربما لم يلتقِ بعض الآباء والأمهات بأولادهم، فتحل نعمة أخرى من الله عَزَّ وَجَلَّ بأهل الجنان، فيكرمهم برفع الأولاد إِلَى والديهم في درجاتهم لتكتمل الفرحة ويتم النعيم.

اسمعوا إِلَى هذَا السياق الكريم في سورة الطور، يقول الله سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ [الطور: 21]، يعني في الدنيا.

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: 21]، يعني في الجَنَّة.

﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (24) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26)﴾ [الطور: 21 - 26]، يقصدون حالهم في الدنيا.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)﴾ [الطور: 26 - 28]، جعلنا الله وَإِيَّاكُمْ منهم، قولوا آمين.

﴿وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)﴾ [الطور: 25 - 28].

اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى البر لم يأتِ إِلَّا مرة فريدة وحيدة في القرآن الكريم، هي في قوله تَعَالَى عن حال أهل الجَنَّة وفرحتهم وامتنانهم بما وجدوا من نعيم الله وإكرامهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)﴾ [الطور: 28].

البر بفتح الباء الَّذِي يتصف بالبر، والبر كما هو معلوم هو الإحسان والاتساع وصلة الخير، ولذلك جاء منه بر الوالدين، فالبار بوالديه المطيع لهما، والجمع البار أبرار، وجمع البر برر، هذَا البر الَّذِي يوصف به فعل الإنسان بفعل الخير والإحسان واللطف والإكرام هو أصلٌ في معنى اللغة من البر.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى البر، فاعل البر سُبْحَانَهُ، والمراد هنا بالبر إحسانه جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى خلقه أَجْمَعِيْنَ، فالله برٌّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، محسن إِلَى الكائنات كلها في البر والبحر، في الأرض وفي السماء، إحسانه عم المخلوقات والموجودات أوجدهم من عدم، رزقهم، أكرمهم، دبر أحوالهم، وكفاهم أمر معاشهم.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بر بعباده، فيجزي المحسن بإحسانه، ويعفو عن المسيء ويصفح، لأنه بر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، البر جَلَّ جَلَالُهُ يغدق بفضله وإكرامه وإنعامه، فتتوالى نعمه، ويرزق العاصي وهو مقيم عَلَى معصيته، ويستر عليه حَتَّى يعود إليه، بل بره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بخلقه رفقه بهم، وصفحه وحلمه، وانتظار المسيء والعاصي والمدبر حَتَّى يعود إِلَى الله فيقبل عليه فيتوب الله عليه.

إن ربنا بر، ولهذا أمرنا بالبر سُبْحَانَهُ، ووعد عليه أفضل الجزاء، وأكرم أهله، وجعل الجَنَّة للأبرار، إن فعل الطاعة الَّتِي ينهض لها أهل الإسلام، ويستجيب لها المؤمنون، ويقبلون عَلَى طاعة واستجابة وامتثال إِنَّمَا يتصفون بالبر، لأن ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كريمٌ برٌّ، وهو الَّذِي دعاهم إِلَى تلك المكارم، وَإِلَى تلك الطاعات، وندبهم إِلَى ذلك الإحسان، فأقبل العباد ببرهم يقابلون ربًا برًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما أعظمه!! فلا إله إِلَّا هو، ولا رب لنا سواه.

قَالَ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: البر اللطيف، والحق أن هذَا الاسم من أعظم أسماء الله الحسنى الَّتِي تفيض عَلَى النفوس دفئًا، حبًا، شوقًا، ورغبة فيما عند الله، والتماسًا لبره وكريم عطاياه.

قَالَ الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: البر الرفيق، "يستر عَلَى عباده، ويصفح، يجازيهم بحسناتهم ويضاعفها، ولا يجزي بِالسَّيِّئَةِ إِلَّا مثلها، يعفو ويغفر، لا يعاقب عَلَى الهم بِالسَّيِّئَةِ، ويجزي عَلَى الهم بالحسنة، يعفو عن كثير من

السيئات، ولا يؤآخذ عَلَى كل الجنايات"، هذِه من المعاني الَّتِي يجد فيها العبد معنى اسم الله سُبْحَانَهُ وتعالى البر.

<u>أما إن بر الله جَلَّ جَلَالُهُ بخلقه نوعان:</u>

- فبرٌ يشمل جميع المخلوقات والموجودات، فقد خلقها من عدم، ويسر كل شيء خلقه ثُمَّ هدى، وأعطى كل شيء خلقه وأحسنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- وَأَمَّا البر الخاص لأوليائه وعباده: فهو ما ينالهم من إحسانه وفضله وكرمه، ما ينالهم بجزاء إيمانهم به سُبْحَانَهُ من خصوص العطايا والهبات والمنح الَّتِي تجعلهم في حياة طيبة كما وعد الله عَزَّ وَجَلَّ أهل الإيمان، ولأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بر، فإنه يحب البر، وأمر به جَلَّ جَلَالُهُ، وجعل جزاء الأبرار جنات النعيم، ووعدهم فيها من ألوان وصنوف النعيم المقيم.

وجعل جزاء البر بالوالدين في أعلى الدرجات وأمر به في القرآن مع الأمر بعبادته سُبْحَانَهُ، لقد أثنى الله عَلَى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32)﴾ [مريم: 32].

وأثنى عَلَى ابن خالته -يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَقَالَ عنه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: 14].

إن البر محمود في كل أبواب الشريعة، ومنه حسن الخلق، وقد جاء النواس بن سمعان يسأل النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن البر، فَقَالَ له: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ».

البر أصناف: ومنه في النفقة بلوغ أعلى درجاتها في الصدقات، بأن يخرج المرء ما يحبه من أصناف المال، يؤثر بذلك مرضاة الله، والصدقة برهان كما قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإنا لنقرأ في كتاب الله الكريم: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92].

أيا عبد البر، ويا أمة البر، ربنا برُ سُبْحَانَهُ، استشعار هذَا الاسم في دعواتنا، في صلواتنا، في تضرعاتنا، ينزل علينا من بر البر سُبْحَانَهُ ما نحن بحاجة إليه، وأهل الجَنَّة لما دخلوها ورأوا من عظيم فضل الله وإحسانه وكرمه ولطفه، حَتَّى قرت أعينهم، وطربت نفوسهم فرحًا، قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)﴾ [الطور: 28].

وفي قراءة صحيحة: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾، لقد كانوا يدعون الله، ويتوسلون باسمه البر، فهلّا فعلناها في دعواتنا، وهلّا استنزلنا بر ربنا البر سُبْحَانَهُ متوسلين في دعواتنا، في مناجاتنا، في تضرعاتنا، أيا بر يا كريم، يا عظيم يا رحيم أُمنن علينا، وأغدق علينا من لطفك وبرك وإحسانك ما أنت أهل له، فإنك أنت البر الرحيم.

اللقاء الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الحسيب)

حياكم الله، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وبركاته،

في قصة الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين عزم قومه عَلَى إحراقه بِالنَّارِ، لما أقام عليهم الحجة، وفقدوا المحجة، وهو القائل لهم بعدما سألوه: من فعل هذَا بآلهتنا يا إبراهيم، أأنت فعلت هذَا؟، قَالَ: بل فعله كبيرهم هذَا، فلما كشفوا زيف باطلهم، وانكشفوا في حقيقة أمرهم، قالوا: حرقوه، وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين.

فلما ألقي عَلَيْهِ السَّلَامُ في النَّار، قَالَ: حسبنا الله ونعم الوكيل، قَالَ الله: ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69)**﴾ [الأنبياء: 69].

حسبنا الله ونعم الوكيل، كلمة قالها الخليلان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ.

قَالَ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ألقي في النَّار، وقالها مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لما قَالَ لهم الناس: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)**﴾ [آل عمران: 173]، كفاهم الحسيب، وكفى بالله حسيبًا".

﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَاۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86)**﴾ [النساء: 86].

في كتاب الله الكريم؛ قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ [النساء: 6].

وفي قوله أيضًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَاۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86)**﴾ [النساء: 86].

كما جاء الحاسب في قوله تَعَالَى: ﴿**وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [الأنبياء: 47]، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حسيب وحاسب.

أما الحسيب: فهو عَلَى صيغة المبالغة فعيل، ويأتي له في اللغة معنيان:

- أَحَدُهُمَا: الكفاية والاقتدار، تقول: حسبي من الشيء كذا؛ أي: يكفيني، ومعنى الكفاية هنا أن الله عَزَّ وَجَلَّ يكفي من توكل عليه وهو جَلَّ جَلَالُهُ حسبه؛ أي: كافيه، من كل ما أهمه أو سأله أو طلبه، ورغب فيما سأله من عند الله.
- ويأتي الحسيب بمعنى المكافأة والمحاسبة، والله عَزَّ وَجَلَّ يحفظ أعمال العباد ويحصيها عليهم ليجازيهم بها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

يقول الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "الحسيب في أسماء الله تَعَالَى يأتي بمعنى الكفاية".

تقول العرب: نزلت بفلانً فاكرمني وأحسبي، يعني أعطاني حَتَّى قلت: حسبي، فتحقق فيه معنى الكفاية، قَالَ: ويجوز أن يكون من أحسبني الشيء؛ أي: كفاني، بمعنى أنه عَلَى صيغة حسيب، لكنه بمعنى مفعل، فعيل بمعنى مفعل، كما تقول: أليم، بمعنى مؤلم.

وقال غيره: "هي من الصيغ الَّتِي تأتي عَلَى وزن فعيل، ويراد بها المفاعلة؛ أي: المحاسبة، حسيب بمعنى محاسب، وكما تقول العرب: وزير ونديم وجليس، يعني مؤازر ومنادم ومجالس، فمنه حسيب بمعنى محاسب".

أَيُّهَا الكرام ربنا عَزَّ وَجَلَّ الحسيب عَلَى عباده، وهو جَلَّ جَلَالُهُ كافٍ من توكل عليه، وجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حسبه -أي: كافيه- من كل ما أهمه، فيأتي هذا الاسم العظيم في عداد وسياق الأسماء الحسنى الَّتِي تبعث ثقة بالله وتعظيمًا له في القلوب جَلَّ فِي عُلَاهُ.

اسم الله الحسيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحمل معنى الحساب والمحاسبة، فالله سُبْحَانَهُ أحصى خلقه: أعدادهم، أصنافهم، أماكنهم، لأنه خلقهم جَلَّ جَلَالُهُ،

وأحصى أقواتهم وأرزاقهم لأنه يدبرها سُبْحَانَهُ، وأحصى أعمال المكلفين في دواوينهم، وصحائف أعمالهم، وسيجازيهم عليها، لأنه الحسيب سُبْحَانَهُ.

ويوم القيامة سيجازى أهل الأعمال بأعمالهم، ويدخل أهل الجَنَّة الجَنَّة، وأهل النَّار النَّار، لا يشغله سُبْحَانَهُ حساب أحد عن حساب أحد، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحسيب.

اسم ربنا الحسيب -إخوة الإسلام- يبعث في النفس معنى فيه الكفاية، أو ما قَالَ الله لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64)﴾ [الأنفال: 64].

وأنت، وأنتِ أيضًا فليكن حسبنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله كافينا.

وجملة حسبنا الله ونعم الوكيل ثقيلة، ليست في الميزان فَقَطْ، ولا عَلَى اللسان لكنها في القلب ثقة وطمأنينة في الشدائد والصعاب والمدلهمات.

أرجو ألا تكون كلمة حسبنا الله ونعم الوكيل كلمة تقال تعبيرًا عن الضعف وخلو اليدين من الحيلة، وأسباب التدبير كأن قائلها يقول لا حيلة لي، ولا قوة مستسلمًا لما هو فيه من موقف أو كربة أو مصيبة.

إِنَّمَا يقولها الواثق بالفرج يأتيه من الله المنتظر، بيقين نصرًا وعزًا وبابًا يفتحه له الله قائلًا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

أما أنه من الأخطاء الشائعة أن تُقال: حسبنا الله ونعم الوكيل ويفهم معناها بمعنى الدعوة عَلَى من تقال عليه، فيقال: حسبنا الله عَلَى فلان أو عليك أو عليها، أما إنها الكفاية، وإذا قيلت فَإِنَّمَا يستنزل بها نصرٌ من الله، ليست دعوة عَلَى أحد، لكنها اتكال عَلَى الْرَّبِّ الحسيب الكافي جَلَّ جَلَالُهُ.

أحبتي الكرام الحسيب الحفيظ الرقيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذِه الأسماء الحسنى تبعث في النفس إيقاظًا مستمرًا بيوم آخر ينتظرنا حين يكون الحساب عند الحسيب، ويكون ما نعمله في دنيانا هذِه، وما نقوله، وما ننشئه نحن مسؤولون عنه تمام المسؤولية، فليكن نصب أعيننا قول المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يسْأَلُ عَنْ أَرْبَعٍ: عَن عمرِهِ فِيمَا أفناهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟**»، فأعدوا للسؤال جوابا، فإن لنا ربًا حسيبًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

اللقاء السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(التواب)

تحية من عند الله مباركة طيبة، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

في الحديث أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل عَلَى راهب، فأتاه فسأله: هل له من توبة، فَقَالَ: لا، فقتله فكمل به المائة، ثُمَّ سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل عَلَى عالم فأتاه فسأله هل له من توب؟ فَقَالَ له العالم: وما الذي يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق إِلَى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فأعبد الله معهم، ولا ترجع إِلَى أرضك فإنها أرض سوء.

قَالَ: فانطلق الرجل، وبينما هو في مسيره حتى إذا انتصف به الطريق أدركه الأجل فمات، قَالَ: فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، قالت ملائكة الرحمة: إنه أقبل مقبلًا تائبًا فهو أحق بالرحمة، قالت ملائكة العذاب: لكنه لم يعمل خيرًا قط، فبعث لهم ملكًا عَلَى هيئة رجل يختصمون إليه فحكم بينهم أن قيسوا ما بين الأرضين، فَإِلَى أيتهما كان أقرب فهو له، فقاسوها فإذا هو أقرب إِلَى أرض التوبة، فأخذته ملائكة الرحمة، إنها توبة التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (36) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)﴾ [البقرة: 35 - 37].

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)﴾ [البقرة: 37]، أرأيتم؟ لقد ابتدأت توبة ربنا التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع أول خطأ وزلة وقع فيها آدم وذريته عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنها توبة ربنا التواب سُبْحَانَهُ.

اسمه التواب جَلَّ جَلَالُهُ وقع في القرآن الكريم أكثر من عشر مرات:

في مثل قوله تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 104].

وفي مثل قوله تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 10].

إن التواب في أسماء الله تَعَالَى جاء عَلَى صيغة المبالغة عَلَى وزن فعال، وصيغ المبالغة إذا اتصلت بأسماء الله الحسنى فإنها تدل عَلَى المبالغة في الكم وفي النوع، يعني أن الله يتوب ويغفر لعباده جميع الذنوب كمًا، كما أنه يتوب ويغفر لعباده أكبر الذنوب نوعًا، أوما سمعتم قول الله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].

ربنا تواب سُبْحَانَهُ؛ بمعنى أنه جَلَّ جَلَالُهُ يوفق عباده للتوبة، ويهديهم إليها، ويشرح صدورهم للإقبال عليها.

تأملوا الإشارة اللطيفة في قول الحق سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10)﴾ [النور: 10]، إذن هو فضل من الله يوفق له التائبين من عباده جَلَّ فِي عُلَاهُ.

ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تواب؛ بمعنى أنه يثبت التائب عَلَى التوبة، ويجعل قدمه مستقيمة عليها، ثابتًا عَلَى توبته، صادقًا في أوبته إِلَى ربه سُبْحَانَهُ.

ربنا تواب إِلَى معنى أبعد من ذلك معشر العباد، ربنا سُبْحَانَهُ يغفر الذنب، ويعفو، لكنه مع ذلك يبدل السيئات حسنات، مزيدًا منه كرمًا وفضلًا وعطاءً سُبْحَانَهُ.

لما ذَكَرَ الله معاصي بعض العباد، وأنهم يقعون فيها في قتل وسرقة وزنا وإتيانٍ، قَالَ الله سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (70)﴾ [الفرقان: 70]، ما أعظمها من صفة عظيمة لربنا الكريم التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!!

إن ربنا التواب يفرح بتوبة عبده، توبة محاطة ببهجة وفرح، لا بحزن وأسى، «لَلَّهُ أَشَدُّ فرحًا بِتَوْبَة أَحَدكُمْ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ عَلَى فَلَاة عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ»، إنها توبة التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«رَبِّ اِغْفِرْلِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، هكذا هي دعوات رسولنا صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، واستغفاره وتوبته إلى ربه التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، دلنا بهديه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، علمنا كيف نجعل من اسم التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بابًا ننطلق منه نحث الخطا إِلَى توبة واسعة تسع ذنوبنا الكثيرة المتراكمة.

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّه، فَو اللَّهَ إني لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

لما خلقنا الله بشرًا مجبورين عَلَى الخطأ والنقص، مفطورين عَلَى العيب والزلل، ولسنا معصومين من العصيان والذنب، شرع لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى باب التوبة ووجهنا إليها، وحثنا عَلَى الاغتنام لهذا الباب الكريم.

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

وما زالت الإغراءات بنا في الشريعة -أمة الإسلام- لنقبل عَلَى هذَا الباب الكريم لأننا لسنا معصومين، ولأنه لا غنى لنا عن طرق هذَا الباب وإتيانه صبحًا ومساءً، ليلًا ونهارًا، إن الله يبسط يده بِاَللَّيْلِ ليتوب مسيء النَّهَار، ويبسط يده بِالنَّهَارِ ليتوب مسيء اَللَّيْل.

أخي عبد الله، أختي أمة الله، بالله عليكم أي ذنب أحدنا صاحبه؟، أي خطيئة ألم بها؟، أي معصية اقترفها؟

والله مهما تعاظمت ذنوبنا وتكاثرت خطايانا فلرحمة ربنا والله أعظم، وتوبته إلينا أقرب، ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3] التواب كثير التوبة.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25)﴾ [الشورى: 25].

بالله عليكم أصغوا بقلوبكم قبل آذانكم إِلَى هذَا الحديث القدسي الجليل، يقول الْرَّبّ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا بْنَ آدَمَ إِنَّك مَا دَعَوْتِنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَك عَلَى مَا كَانَ مِنْك وَلَا أُبَالِي، يَا بْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُك عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَك، يَا بْنَ آدَمَ إِنَّك لَوْ أَتَيْتَنِي بِقِرابِ الأرضِ خَطَايَا ثمَّ لقيتَني لَا تشرِكُ بِي شيئًا لأتيتُك بقرابِها مغفرةً»، اللَّهُ أَكْبَرُ.

والله إنها صفة التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنه كرم الوهاب ربنا الكريم الحبيب العظيم جَلَّ فِي عُلَاهُ.

أمة الإسلام، كم نحن بحاجة إلى تطهير دواخلنا، إِلَى تصفية قلوبنا، إِلَى تنظيف سجلاتنا، وباب التوبة مفتوح، يغفر الله للعباد ما لم تطلع الشَّمْس من مغربها، ما لم يغرغر العبد، وتخرج الروح من الحلقوم فيبقى باب التوبة مفتوحًا، وعطاء الله يغدو ويروح، وفضله سُبْحَانَهُ لعباده ممنوح، أقبلوا فالله عَزَّ وَجَلَّ يقبل عليكم بتوبته.

لما نزلت سورة النصر: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)﴾ [النصر: 3] تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما صَلَّى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة بعد أن نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1)﴾ [النصر: 1] إِلَّا كان يكثر فِي ركوعها وسجودها أن يقول: «سُبْحَانَك رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»

يا كرام، هذَا الباب العظيم إغراء لنا، والله إنا لنستحي من الله وهو يسمي نفسه بالتواب، ويصف لنا - معشر العباد- عظمة توبته، ثُمَّ يكون أحدنا مقصرًا فيها.

إننا أحق والله بأن نكون توابين إِلَى ربنا التواب جَلَّ فِي عُلَاهُ، عسى الله أن يقبلنا بتوبته، ويعفو عنا بكرمه، وصفحه وهو الكريم التواب.

اللقاء السابع

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

(الحميد)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،

صَلَّى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه ذات مرة فركع، فلما رفع رأسه قائلًا: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ رجل من الصحابة خلفه: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما قضى الصلاة، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ الْمُتَكَلِّمِ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ؟»، قَالَ الرجل: أنا يا رسول الله، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ ملكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيّهم يَكْتُبُهَا أَوَّل».

وهو الحميدُ فكل حمد واقع أوكان مفروضًا مدى الأزمان

ملأ الوجود جميعه ونظيره من غير ما عد ولا حسبان

هو أهله -سُبْحَانَهُ وبحمده- كل المحامد وصف ذي الإحسان.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)﴾ [فاطر: 15].

اسم الله الحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وقع في نحو سبع عشرة مرة في القرآن الكريم، لكنه كثيرًا ما يقترن باسم آخر من الأسماء الحسنى، مثل المجيد في قوله: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: 73].

ومثل الولي في قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28)﴾ [الشورى: 28].

ومثل الغني في قوله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)﴾ [فاطر: 15].

الحميد في اللغة: بمعنى المحمود، اسم مفعول يدل عَلَى ما يقع عليه الحمد، يقال في اللغة: رجل محمود الصفات والسجايا، محمود الأقوال والأفعال، إذا كانت أقواله وأفعاله وصفاته تقع عَلَى نحو يحمده عليها الآخرون، فهم يثنون عليه، ويذكرون فيه من جميل ما يقع منه.

والحميد في أسماء الله تَعَالَى: صيغة مبالغة بمعنى أنه كثيرٌ ما يقع الحمد له جَلَّ جَلَالُهُ، فهو فعيل بمعنى مفعول -كما يقول الزجاج- لأن الله سُبْحَانَهُ محمود عَلَى كل لسان، ومحمود عَلَى كل حال.

وكما قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإن ربنا المحمود في السراء والضراء، ربنا المحمود في كل حال، في الكرب والشدة، وفي حال الرخاء، وذلك لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكيم، لا يقع في فعله الغلط، ولا ينسب إِلَى فعله ما لا ينبغي، ربنا حميد، والحمد الواقع له في أرضه وسمائه ومن جميع خلقه لا حد له".

فالله جَلَّ جَلَالُهُ المستحق للحمد أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، ولهذا كان الحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما إن من دعاء النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا قام من اَللَّيْل يصلي -كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَك الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَك الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَك الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعدك حَقّ، وَقَوْلُك حَقٌّ، وَلِقَاؤك حَقٌّ، وَالجَنَّة حَقّ، وَالنَّار حَقّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقّ».

لقد كان صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يجمع من المحامد ما استحق به صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْه، أن يكون سيد الحمادين، وأمته أمة الحمد، وهو القائل: «وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»، إنه عرف حقًا الحمد المستحق العظيم لربنا الحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولأننا أمة الحمد ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد الحمادين، وبيده لواء الحمد يوم القيامة، فإننا نعيش حمد ربنا جَلَّ جَلَالُهُ في حياتنا -أمة الإسلام- عَلَى نحو كثيف، يبعثنا عَلَى الانتهاض للقيام بحمد ربنا جَلَّ جَلَالُهُ فإنه حميد سُبْحَانَهُ، نستفتح كل ركعة في صلواتنا -في سورة الفاتحة- بالحمد لله رب العالمين، فيما لا يقل عن سبع عشرة مرة كل يوم وليلة.

فإذا ما ركعنا وسجدنا قرنا تسبيح ربنا العظيم وتسبيح ربنا الأعلى بالحمد، سُبْحَانَ رَبِّي اَلْعَظِيمِ وبحمده، سُبْحَانَ رَبِّي اَلْأَعْلَى وبحمده، فإذا ما رفع إمامنا رأسه من الركوع فَإِنَّمَا يقول: سَمِعَ اَللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، لتلهج الأفواه، وتنبض القلوب: رَبَّنَا لَكَ اَلْحَمْدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد.

طوبى لعبد والله -إخوتي الكرام- يعيش هذَا الحمد في كل ركعة من صلاته، يقطر بها قلبه، مستشعرًا عظيم النعم والأفضال والآلاء الَّتِي ليس لها أول، وليس لها انتهاء، فربنا حميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

من أجل أن نعيش هذَا المعنى عظمة، ونملأ ميزاننا أجرًا وذخرًا وحسنات -نحن غدًا أحوج ما نكون إليها- هاكموها قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَالحَمْدُ للهِ تملأ الميزان».

فاملؤوا موازينكم بها، واستكثروا منها، بل هاكم أبوابًا تفتح لنا الطرقات نحو حمد ربنا في كل لحظة بالعشي والآصال.

في الحديث الصحيح يقول المصطفى صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»، كم مرة قلتها عبد الله، وأنتِ أمة الله؟ الحَمْدُ للهِ.

من فينا ذاك الَّذِي ما يزال يظن أنه إِنَّمَا يحمد الله عندما تتجدد نعمة ملموسة حاضرة: فيحمد الله إن أكل، فإن لم يجد سكت، يحمد الله إن لبس، فإن لم يجد انصرف، يحمد الله إن رزق بولد وزوجة ومال ووظيفة.

يا كرام تجدد النعم الملموسة الحاضرة هي جزء مِمَّا نصرف له حمدنا لربنا، وَإِلَّا فأنفاسنا الَّتِي تتردد في صدورنا نعم لا تحصى، جوارحنا الَّتِي ما زلنا نستعملها نعم لا حد لها، العافية الَّتِي تغطي أبداننا نعمة لا وزن لها، كم وكم تحيط بنا النعم والآلاء، والله عَزَّ وَجَلَّ وحده المنعم المستحق للحمد عليها.

ختامًا: يأسرنا كثيرًا إحسان ذوي الإحسان، وتفضل بعض ذوي الإكرام علينا بمال أو هدية أو كلمة طيبة، أو شفاعة أو تحقيق مصلحة، فنجد أنفسنا مضطرين -أدبًا وذوقًا- أن نشكره، وأن نثني عليه، وكلما عظم فضل ذي الفضل علينا وجدنا أنفسنا نلهج بالاعتراف بفضله، والثناء عليه بحمده، فبالله عليكم أي حال لنا -معشر العباد- مع ربنا الكريم؟! أما أنه الحميد سُبْحَانَهُ.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44]، فلنكن أمة الحمد في مقدمة هذا الركب الَّذِي يلهج بحمد الله، وينطق به فَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

اللقاء الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الخالق)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،

في سنن أبي داوود أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَذِنَ لِي أَنْ أَتَحَدّث عَنْ مِلْكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ مِنْ حَمَلَهُ الْعَرْشِ، ما بَيْن شَحْمَةِ أُذُنِه وَعَاتِقِه خَمْسِمِائَةِ عَامٍ».

وفي حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الصحيح بمجموع طرقه كما قَالَ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيّ إِلَّا كَحَلَقَة مُلْقَاة بِأَرْضٍ فَلَاةٍ»، -يعني- في صحراء واسعة.

يقول: «وَفَضْل الْعَرْش عَلَى الْكُرْسِيّ كَفَضْل تِلْك الْفَلَاة عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةُ»، سبحان الله الخالق جَلَّ فِي عُلَاهُ!!

﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)﴾ [الحشر: 24].

في موضع فريد؛ جاء اسم الله الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين الأسماء الواردة في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)﴾ [الحشر: 24].

كما جاء اسم الخلاق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (86)﴾ [الحجر: 86].

وَأَمَّا الأفعال الَّتِي جاءت في القرآن تدل عَلَى صفة الخلق: خلق، ويخلق، فهي كثيرة في كتاب الله، وربما جاء إثبات معنى الخلق لله عَلَى صيغة المصدر: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190)﴾ [آل عمران: 190].

وفي السُّنَّة أيضًا؛ فإن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قَالَ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ».

اسم الخالق لله جَلَّ جَلَالُهُ -أحبتي الكرام- فالخالق اسم فاعل من خلق.

والخلق في اللغة: يدل عَلَى معنيين:

- إيجاد الشيء من العدم، وإيجاد الشيء من الشيء.

وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي سمى نفسه بالخالق، فلأنه خلق كل هذَا الكون بكل ما فيه، الله خالق كل شيء، وهو عَلَى كل شيء وكيل، خلق الكون بقدرته، وخلق الخلق بعلمه، إن اسم الخالق من الأسماء المركزية الجوهرية الَّتِي تحمل في ثناياها كثيرًا وعديدًا من معاني أسماء الله تَعَالَى الأخرى، والصفات العظيمة الَّتِي يجمعها اسم الخالق لله جَلَّ وَعَلَا.

- ثُمَّ جاء بصيغة المبالغة؛ في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (86)﴾ [الحجر: 86]، إنه خلق عظيم كثير، ليس له انتهاء، فربنا -جَلَّ جَلَالُهُ- متصف بهذه الصفة العظيمة، والإيمان بها، واستشعار معناها، يفتح للقلب وللنفس آفاقًا لا حدود لها من تعظيم الله جَلَّ جَلَالُهُ، والإيمان به كما ينبغي، وأداء حقه كما هو المطلوب من خلقنا معشر العباد.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾ [الذاريات: 56].

اسم الله الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتصل بصفة عظيمة مع كثير من الأسماء الحسنى وما اشتملت عليه من الأوصاف.

صفة الخلق تستلزم جملة من صفات الله جَلَّ جَلَالُهُ من الحياة، والقدرة، والعلم، والسمع، والبصر، والقوة، والغنى.

انظروا وتأملوا كيف ربطت الآية الكريمة بين صفة الخلق لله، وصفتين هما من لوازم هذِه الصفة العظيمة: العلم والقدرة.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:12]. إن القلب الَّذِي يدرك ويعي معنى خلق الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وجه العظمة اللائقة بالله جَلَّ جَلَالُهُ، ليحمله ذلك حملًا عَلَى أن يتعبد الله بعبادة عظيمة قل من يتنبه لها اليوم من الناس؛ إنها عبادة التَّفَكُّر.

تقول أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان جل عبادة أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّفَكُّر، أوما نقرأ في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 190، 191].

وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (3) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4)﴾ [الجاثية: 3، 4].

أما إن القلب إذا وعى وأدرك وعلم معنى اسم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ حمله ذلك عَلَى تعظيم وتسبيح، اسمع قول الله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (3)﴾ [الأعلى: 1 - 3].

ومن علم حقيقة معنى اسم الخالق؛ قاده ذلك على دعاء وتوسل وثناء عَلَى الله بهذا الوصف العظيم الَّذِي وصف الله به نفسه كثيرًا في كتابه الكريم.

وقد ذَكَرَ الله عن تلك الفئة الَّذِينَ أثنى عليهم من عباده المتفكرين أولي الألباب، قَالَ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (192)﴾ [آل عمران: 191، 192]، إِلَى آخر ما جاء في دعواتهم.

فاعلموا رعاكم الله أن إثبات الخلق لله والإيمان به أمر عظيم، واستقراره في القلوب المؤمنة يثمر ثمارًا عجيبة عظيمة، ازرعوها في قلوبكم، وبثوها بين أهليكم وأولادكم، واجعلوهم يعظمون الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تعظيمًا يليق به، فإنها ثمرات تنشئ حياة طيبة سعيدة في الدنيا، تظفر بالنعيم الأخروي عند رب كريم خالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

اللقاء التاسع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الخبير)

حياكم الله، وأهلًا ومرحبًا بكم مع اسمٍ من أسماء الله تعالى الحسنى

في صحيح مسلم وقعت قصة لطيفة تحكيها أمنا عائشة رضي الله عنها، وذلك أنها افتقدت نبينا صلى الله عليه وسلم ذات ليلة -وهي ليلتها- وظنته عند بعض نسائه، فخرجت تتفقده عليه الصلاة والسلام، فألفته في مقبرة البقيع يدعو لأصحابه، ويستغفر لهم رضي الله عنهم، فلما علمت ذلك واطمأنت عادت مسرعة تدرك حجرتها قبل مرجعه عليه الصلاة والسلام.

فلما أتاها وجدها وقد حفزها النفس وهي تحت الغطاء، ولم تكن نائمة، فأدرك ذلك صلى الله عليه وسلم فسألها فلم تجبه، فَقَالَ لها: «لتخبريني أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»

الخبير اسم لله سبحانه، من أكثر الأسماء وقوعًا في القرآن الكريم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)﴾ [لقمان: 34].

الخبرة مرتبة فوق العلم، فإنها تتجاوز العلم إلى الإحاطة، إلى المعرفة التامة التي تراكمت معها أمور المعرفة، هكذا هي الخبرة، وهكذا هم الخبراء في مقاييسنا معشر البشر.

واسم الله سبحانه وتعالى الخبير هو العالم الذي نفذ علمه إلى بواطن الأمور وخفاياها، كما أحاط علمًا بظواهرها وما يبدو منها.

اسم الله الخبير في عداد أكثر الأسماء الكريمة لله التي وقعت في كتاب الله الكريم، في نحو من خمسٍ وأربعين مرة، غير أن الملفت للنظر أن اسم الخبير لله سبحانه وتعالى لا يأتي منفردًا وحده في الآيات القرآنية، ويقترن بثلاثة أسماء دائمًا في كتاب الله الكريم:

- أحدها: الحكيم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18].
- وثانيها: اسم العليم، ﴿قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: 3].
- وثالثها: اسم اللطيف، في مثل قوله تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)﴾ [الملك: 14].

وبالتأمل نجد أن اقتران هذا الاسم الكريم بهذه الثلاثة أسماء لها دلالتها التي يراد أن تثبت فينا -قلوب أهل الإسلام- اللطيف الخبير، الحكيم الخبير، العليم الخبير، فالخبرة بالعلم الواسع المحيط المقترنة بالعمل اَلْمُطْلَق تأكيدٌ عَلَى علمٍ جليلٍ أحاط به الخبير سبحانه.

والحكيم جل في علاه لما يكون خبيرًا؛ فإنها منتهى العظمة التي يتصف بها ربنا سبحانه وتعالى، وقل مثل ذلك في اسم الله سبحانه وتعالى العليم واللطيف، فإنها تأكيد لمعنى إحاطة بعلم جليل.

هذا باب ندخل منه أهل الإسلام، ونعيش في أفيائه، معنى نتقلب في أكنافه تعظيمًا لربنا سبحانه:

- فيبعث فينا خوفًا؛ لأن لنا ربًا خبيرًا
- ويبعث فينا حياءً؛ لأن ربنا خبير سبحانه وتعالى
- ويبعث فينا رجاءً وحسن ظنٍ؛ فربنا خبير

وهكذا تجتمع قواعد العبودية العظيمة وتستقر في أحد معانيها على توفير معنى اسم الخبير لله سبحانه وتعالى في قلوبنا وصدورنا معشر المسلمين.

أما إن اسم الله الخبير الذي ينتظم في أسماء الله الحسنى المشتملة على معنى العلم ينفذ بنا إلى معنى دقيق في لطف الله وعلمه، وهذه كما جاءت في سورة الملك في صيغة استفهام: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)**﴾ [الملك: 14]، ستجيب النفوس المؤمنة: بلى ربنا أنت أعلم بنا، فتفوض النفوس أمورها إِلَى الله، وتثق بما عنده، وتتكل عليه، فيستقيم للعبد إيمانه وتصفو حياته.

قَالَ الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "الخبير الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، ولا يجري في الملك والملكوت شيءٌ، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نفس ويطمئن إلا وعنده خبره.

قال: وهو بمعنى العليم، لكن العلم إذا أضيف إِلَى الخفايا الباطنة سُمي خبرة، وسُمي صاحبها خبيرًا"

سبحان ربنا الخبير سبحانه.

بالله عليكم كم يبعث هذا الاسم الكريم لله سبحانه في النفوس من طمأنينة عجيبة تتدفق ثقة بالله، وهي تركن إِلَى رب خبير؟!

أي والله كثيرًا ما نرتب لأمور دنيانا ومعاشنا، ونسعى في تدبير أحوالنا، ونجتهد فيما يصلح به أمر دنيانا وحياتنا وأولادنا وبيوتاتنا، وقد تفوتنا بعض القضايا، ونغفل عن بعض الدقائق، لكن الله جل جلاله وهو الخبير لا يعزب عنه مثقال ذرة، ولا يفوت عن علمه شيء سبحانه وتعالى.

عندما نكل تدبير أمرنا إِلَى الله الخبير نثق أن أمر معاشنا ومعادنا وأقواتنا وأرزاقنا بيد الخبير سبحانه.

أي والله لن ينسى عبده، ولن يفوت عن علمه جل جلاله شيء يحتاج إليه العبد، فكيف إذا طرق بابه؟ وكيف إذا سأله؟ وكيف إذا فوض أمره إليه؟

والله لا يخيب من رجاه، ولا يحرم من دعاه.

املؤوا قلوبكم معشر العباد ثقة بربٍ خبير سبحانه، وسيحملكم هذا أيضًا عَلَى مزيد من مراقبة الذوات، وتهذيب الأنفس، وتقويم السلوك.

لأن ربنا الخبير لا يعزب عنه شيء، ويعلم خفايا الأمور وبواطنها، في الوقت الذي نشعر فيه أحيانًا أن ثمة أمور وقضايا بوسعنا إخفاؤها عن الأعين، وإذهابها عن مراقبة الرقيب وعين الراصد والمتابع، لكن الله سبحانه وتعالى لا يغيب عنه شيء، فينهض في النفس معنى خفي يرقى بها إِلَى الكمالات.

ويرفعها إِلَى أعلى الدرجات، تهذب فيها النفوس وتسمو وترتفع في أعالي الجنان، لأنها قد جعلت من اسم الله الخبير دواء وبلسمًا شافيًا، أحسنت توكلها، هذبت أخلاقها، استقامت عقائدها، فوضت أمرها.

هكذا هي الحياة تصفو وتحلو في رحاب الإيمان بالمعنى العظيم باسم الله سبحانه وتعالى الخبير.

اللقاء العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الرؤوف)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في الحديث الصحيح أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي جاءت تسعى إذ وجدت صبيًا بين السبي فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته.

كان مشهدًا ملفتًا للأنظار، قال النبي صلى الله عليه وسلم موظفًا هذا المشهد في درس إيماني نريد أن نعيشه كما عاشه الصحابة رضي الله عنهم معه صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف، فعيشوه بمشاعركم.

قال: «أَتَرَوْن هذِهِ الْمَرْأَة طارحة وَلَدهَا فِي النَّار؟!»، فقال الصحابة: لا والله يا رسول الله وهي تقدر ألا تطرحه، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «للَّه أَرْحَم بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ الْمَرْأَة بِوَلَدِهَا»

ما أعظم الله وهو القائل سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (20)﴾ [النور: 20].

﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (117)﴾ [التوبة: 117].

في غزوة تبوك جاء قول الله سبحانه وتعالى كما في سورة التوبة: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (117)﴾ [التوبة: 117]

وهكذا في نحو عشر آيات من القرآن الكريم سمى الله نفسه سبحانه وتعالى بالرؤوف، ويقترن دومًا باسم الرحيم.

الرؤوف صيغة مبالغة على وزن فعول من الرأفة، الرأفة: هي الرحمة وزيادة، هي أخص منها، هي أرق منها، هي رحمة في كمالها، واختصاصها، واشتدادها، فكل رأفة رحمة وزيادة، وكل رؤوف رحيم ولا بد وليس العكس، فما كل رحمة تكون رأفة، ولا كل رحيم يكون رؤوفا.

من هنا يأتي اسم الرؤوف مع الرحيم مقترنان في كتاب الله الكريم، والله سبحانه وتعالى سمى نفسه الرؤوف.

وقد قال الإمام الطبري رحمه الله: "أي أن الله ذو رأفة بجميع عباده" قال: "والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع عباده في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة"، وصدق رحمه الله.

فإن الله عز وجل لرأفته رحم عباده، وخصهم بهذه التكاليف، ولرحمته دعاهم إلى توحيده وعبادته وكتب لهم -لرأفته سبحانه- جنة عرضها السماوات والأرض، لرأفته فتح لهم باب التوبة، وعفا عنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وكفر عن سيئاتهم.

لرأفته جعل للحسنات بابًا تضاعف فيه الأجور، وللمحسنين أبوابًا تتعدد منها إلى الجنان مداخلهم.

الله عز وجل رؤوف رحيم، والمعوَّل على هذه الرأفة والرحمة، وهو القائل سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20)﴾ [النور: 20].

الله ربنا الرؤوف سبحانه وتعالى شرع لعباده من العبادات والتكاليف ما هو في حدود طاقتهم، ومن رأفته لم يحملهم ما لا يطيقون.

وفي خواتيم سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286]، قال الله: قد فعلت.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: 286]، قال الله: قد فعلت.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: 286]، قال الله: قد فعلت، كما في صحيح الإمام مسلم.

إن ربنا الرؤوف سبحانه وتعالى، من رأفته بنا -أمة الإسلام- في تشريع الأحكام أن خفف عن المريض والمسافر والعاجز والمعذور، الواجبات تسقط بالعجز، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وجعل من الرخص في أحكام الشريعة ما يخفف عنه العنت، ويزول عنه التكليف بالمشقة، ويجد العباد سعة وفسحة في امتثالهم أمر ربهم، والوقوف عند حدوده.

لأن ربنا رؤوف سبحانه وتعالى، فرأفته تنالنا ونحن نعبده جل جلاله، رأفته تغشانا ونحن نتقرب إليه، بل رأفته تدركنا ونحن ربما كنا على أعتاب المعاصي، وعلى خطا الخطايا نقترف الذنوب ونجترح السيئات، نعود إليه ونستغفره، ونتوب إليه ونؤوب، ونتلمس أبواب الرضا، ونطرق أبواب المغفرة، ونحن نعلم أن الله جل جلاله لعظيم رأفته ورحمته يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

الله ربنا رؤوف رحيم، صفة تبعث في النفوس المؤمنة حبها لله، وشوقها، وعظيم تعلقها بكرم الله، أي والله، يستوي في ذلك الطائعون والعصاة على حد سواء، الكل يجد في صفة الرأفة حنانًا ودفئًا ورحمة تغشاه فيقترب من ربه أكثر وأكثر.

الرؤوف ربنا سبحانه وتعالى يتمنن على عباده، وهو جل جلاله يجعل من اسمه العظيم هذا -الرؤوف- بابًا يدخل منه العباد يُقبلون على ربهم، يستمطرون من رأفته، ويلتحفون من عطاياه ما يجعلهم على طريق العبودية أكثر صدقًا في استمساكهم بشرعه وثباتهم على طريق العبودية لله رب العالمين.

أما إن الله رؤوف، لكن رأفته ليست تحمل العبد أبدًا على جرأة وقحة يكسر بها باب الأدب مع الله معوِّلًا على رأفته، أما إن الذنب ذنب، والمعصية معصية، والخطأ خطأ، ونحن إنما نعول على رحمة الله، ونسير إليه نطلب من رأفته، لكن الذنب حري به أن يجعلنا واقفين عند حدوده، لا أن يجترح المذنب ذنبه، وأن يقترف خطيئته متجرأً معولًا على رأفةٍ دونما تطرق إلى أبواب المغفرة.

هي موازنة يا كرام، فإن الله قد قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)﴾ [الحجر: 49، 50]، فلطفك ربنا ورحمتك، ورأفتك هي أوسع لنا، وعافيتك هي أحب إلى قلوبنا، وامنُن علينا بستر جميل، وتوبة صادقة نصوح يا أكرم الأكرمين.

اللقاء الحادي عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

(الشهيد)

حيّ هلًا بكم أيها الكرام في رحاب اسمٍ متجدد من أسماء الله الحسنى.

في معركة نهاوند وهي إحدى معارك الإسلام الفاصلة، وغزواته التي سطرت مجدًا وعزًا، ومفخرة وأثرًا.

معركة نهاوند وقع فيها قتال شديد، ظفرت به أمة الإسلام بالنصر، وذلك في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أتاه الرسول مبشرًا بالفتح والنصر، ويحمل معه أيضًا خبرًا بمقتلةٍ خلق كثير من جيش الإسلام وجنده، فجعل يسمي لعمر أسماء بعض الشهداء، فقال: اذكرهم، فجعل يقول: فلان وفلان، وعمر رضي الله عنه ما عرفهم، فقال: اذكر بعضهم، فما زال يعدد، وعمر رضي الله عنه لم يتعرف على أسمائهم، ثم بكى عمر، وانصرف وهو يقول: وما يضرهم إذا كنت لا أعرفهم، والله عز وجل يعرفهم، صدق عمر.

وصدق الله عز وجل وهو يقول: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 79]، هي مقولة عيسى عليه السلام لما سأله ربه: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِۖقَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚإِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُۚتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚإِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚوَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖفَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚوَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117)﴾ [المائدة: 116، 117].

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6)﴾ [المجادلة: 6].

اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشهيد يأتي في جملة الأسماء التي تحمل معنى العلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، مع جملة من الدقائق الخفية في تفصيل كل اسم منها عن الآخر.

- قال أهل العلم: إذا أريد به العلم اَلْمُطْلَق كان اسم العليم سبحانه،
- وإذا أريد به العلم بالأمور الباطنة وخفاياها كان اسم الخبير سبحانه،
- وإذا أريد به إضافة العلم إلى الأمور الظاهرة والمشاهدة كان اسم الشهيد جل في علاه.

وقع اسم الشهيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتاب الله الكريم في ثمانية عشر موضعًا: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6].

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: 47].

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

في آيات في سياقات متعددة تحمل معنى العلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فيشهد لعباده، ويشهد عليهم سبحانه جل في علاه.

اسم الله الشهيد الذي جاء في الحديث الصحيح كما أخرج البخاري ومسلم، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «سيجاء يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ» -عياذًا بالله-، فيقوم النبي عليه الصلاة والسلام شافعًا مدافعًا منافحًا فيقول: «يا رب أمتي»، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، يقول: فأقول مقولة العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: 117].

إنه تفويض الأمر لله سبحانه في مثل هذا المقام، الذي علم ما لم يعلمه نبينا صلوات الله وسلامه عليه بعد وفاته.

اسم الشهيد لله يحمل معنى علم الله جل جلاله، الذي لا يعزب عن علمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، مثقال الذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

علم أحاط بكل شيء، فيعلم سبحانه دقيق الأمور وخفيها، وجليلها وظاهرها، المشاهد منها والغائب، ما أدركته الحواس وما غاب عنها، لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شهيد، ويأتي اسم الشهيد كذلك في مقام إثبات الحجة على العباد، ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: 166].

قال الله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166]

يشهد الناس يوم القيامة لأنبيائهم، تشهد الأمم، وتأتي أمة الإسلام شاهدة، مقبولة شهادتها، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

تشهد الأمة، ويشهد الله عز وجل لها، ويشهد النبي عليه الصلاة والسلام، فهو شاهدٌ ومبشرٌ ونذيرٌ كما أخبر الله.

أيا أمة الإسلام؛ اسم الشهيد يبعث في النفس معنى يحملها عَلَى اليقظة، عَلَى حضور القلب، على استشعار علم الله واطلاعه وإحاطته، فيلتزم العبد مسار الاستقامة، خائفًا من الزلل، محاذرًا من الخلل، يأخذ نفسه بالتدارك والتصويب ما أمكن؛ فإن العمر قصير، والحياة مآلها إلى لقاءٍ لربٍ عظيمٍ شهيدٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شهيد، هو عالم الغيب والشهادة، ولأنه جل في علاه شهيد على عباده، فهو يعلم دقائق الأمور مهما خفيت على كثير من الخلق.

أرأيتم إلى الشاهد يشهد حادثة، فيؤدي شهادته عند قاضٍ في المحكمة، إنما شهد بناءً على علم، وإخوة يوسف عليه السلام قالوا: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: 81].

هكذا هي شهادة المخلوق البشر، مقصورة على مشاهدة، فإذا غابت عنه الحادثة انقطعت شهادته، ولأن ربنا عليم خبير محيط رقيب؛ فشهادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على كل شيء.

تأملوا إلى هذا التوجيه الإلهي الكريم، الذي يبعث النفوس على استشعار هذا المعنى العظيم، والله عز وجل يقول: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6)﴾ [المجادلة: 6].

يأتي هذا الاسم لإيقاظ هذا المعنى، إن كنا سننسى كثيرًا، ونغفل ونزل، فلعل استشعارنا لمعنى اسم الله الشهيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يذكرنا من جديد، ويوقظ فينا معاني الاستشعار لشهادة الله، ولا تنسوها فإن الله يقول: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: 6].

ذات الأمر حصل في قصة أصحاب الأخدود، فإن الله أخبر عما نالهم من كرب، وما حل بهم من مأساة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9)﴾ [البروج: 8، 9].

جاء الاسم لإثبات أنه ما غاب عن علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك الموقف، الذي نال فيه عباده من أهل الإيمان كرب ومحنة وبلاء، ولأنه شهيد سبحانه جاء الحكم العدل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11)﴾ [البروج: 10، 11].

أمة الإسلام، ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شهيد؛ كم ستستقيم الحياة وتصفو، كم ستهدأ النفوس وهي تشعر قرب ربها الشهيد سبحانه، كم ستحذر وتتيقظ في مواطن الغفلة والزلل، وعند خطرات الشيطان ووساوسه، ولا يردها عن مزلة الأقدام إلا استشعار شهادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يتقوى الإيمان، تثبت الأقدام، تُحلّق النفوس إيمانًا، تقترب من ربها أكثر، تحبه أكثر، ترجو أمانه ورحمته وعفوه بصورة أعظم؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شهيد، هو هذا المعنى الكريم الذي جاء في ثنايا اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشهيد، لنعيش قلوبًا يقظة، ممتلئة تعظيمًا لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

اللقاء الثاني عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الصمــد)

أهلًا ومرحبًا بكم أَيُّهَا الكرام

في الصحيحين أحاديث بألفاظ متقاربة وروايات متعددة تحكي أن النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعث رجلًا عَلَى سرية فكان يقرأ لأصحابه فيختم بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾ [الإخلاص: 1]، -يعني- لا يصلي صلاة إِلَّا قرأ فيها سورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾ [الإخلاص: 1]، فأخبروا النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بصنيعه ذلك، فقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُوه، لِأَيّ شيئًا يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَقَالَ الرجل: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبَرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّه»، وفي بعض الأحاديث؛ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّة»

لقد وعى الرجل تمامًا معنى هذا الاسم العظيم -الصمد-، وأحبه فتعلق قلبه به، فقاده إلى باب إِلَى الجَنَّة، وحب الله عَزَّ وَجَلَّ له، لأنه عاش هذا المعنى الكريم باسم الله العظيم الصمد.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾

[الإخلاص: 1 - 4].

مع أن اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصمد لم يرد إِلَّا مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾ [الإخلاص: 1]، لكن حسبكم أنها السورة الَّتِي تعدل ثلث القرآن.

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟»، فشق ذلك عَلَى أصحابه، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟! فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، يقصد سورة الإخلاص، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وفي الحديث القدسي، يقول الله تبارك وَتَعَالَى: «**كَذبَنِي ابْنَ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَإِن يَقُول: إِنّي لَن أعيده كَمَا بَدْأَتِه، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ بِأَنْ يَقُولَ: أَنَّ لَهُ صَاحِبَة وَلَا وَلَدًا، وَ أَنَا اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَد الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كفوًا أَحَدٌ**».

الصمد اسم عظيم يحمل جملة من المعاني، الَّتِي تنضوي تحت هذَا الاسم العظيم الكريم الصمد.

فالصمد السَّيِّد الَّذِي كمل سؤدده، والعظيم الَّذِي كملت عظمته، وَالَّذِي اجتمع له كمال الشرف، والحليم الَّذِي كمل حلمه، والعليم الَّذِي كمل علمه، فهو صفة لا تنبغي إِلَّا لله وحده، ليس كمثله شيء، ولم يكن له كفء، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الواحد الأحد سُبْحَانَهُ هو الله الواحد القهار.

الصمد في معانيها السؤدد؛ والتفرد بهذا المعنى حَتَّى يبلغ صاحب هذِه الصفة -وهو ربنا الجليل الكريم سُبْحَانَهُ- أن يكون مقصدًا أوحد تصمد إليه الخلائق؛ أي: تقصده في حاجاتها، عجماواتها، وأحياؤها، وجماداتها، كلها تجأر إِلَى الله جَلَّ جَلَالُهُ، فتطلبه في حاجاتها، وتقصده في مطالبها؛ لأنه الله الصمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذِه المعاني الَّتِي نجدها مبثوثة في كتب التفسير، منقولة عَلَى ألسنة علماء الأُمَّة من الصحابة والتابعين إِنَّمَا تحاول لملمة شتات واسع من المعاني الَّذِي يتناثر في طيات هذَا الاسم الكريم الصمد، فإنه السَّيد المقصود الَّذِي تقضى على يديه حوائج الخلق، المتفرد بهذا المعنى مع كمال الشرف والعظمة.

هذَا المعنى لن يكون إِلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الصمد الَّذِي يراد أن تتجه إليه القلوب امتلاءً بتعظيمٍ لرب سمى نفسه الصمد، جَلَّ فِي عُلَاهُ.

دخل النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد؛ فإذا برجل قد قضى صلاته وهو في التَّشَهُّد يقول: «**اللَّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الْأَحَدُ الصّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كفوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَلِي ذُنُوبِي**»، فَقَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ غَفَرَلَهُ، قَدْ غفَرَلَهُ، قَدْ غفَرَلَهُ**».

لقد استشعر هذَا الصحابي معنى اسم الصمد لله، فتوجه إليه قاصدًا طالبًا متوسلًا بهذا الاسم العظيم فنال مطلوبه.

اين نحن -أمة الإسلام- عن هذَا الاسم الكريم الَّذِي يسند النفوس العاجزة في طريقها، في مسيرها، في رحلتها الطويلة؟!

تعترينا المصاعب، تعترضنا المشاق، وتحوط بنا الأهوال، لكنها ستتبدد وتزول وتتلاشى عندما تركن إِلَى رب صمد سُبْحَانَهُ، تصمد إليه الخلائق فتتجه إليه، أما إننا لو وجدنا من حولنا إنسانًا موصوفًا بالعظمة، بالخير والعطاء، بالقدرة والتمكين، بمد يد السخاء، وألفينا حوله المحاويج قد أتوه من كل جانب يطرقون بابه يمدون أيديهم، سيقوم عندنا في النفس شعور أن مثله ينبغي أن تحط عنده الرحال، وأن تنزل به الحوائج، هذَا وهو بشر، لكن البشرية تبحث عمن يسندها في متاعبها في الحياة، والله جَلَّ جَلَالُهُ الصمد الَّذِي تصمد إليه الخلائق وتلجأ إليه وتتضرع فتجد حاجتها، وتكمل نقصها، وترتوي من شحها وحاجتها من رب عظيم سيد كريم سمى نفسه بالصمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أمام بابك كل الخلق قد وقفــوا وهـم ينادون يا فتـاح يا صمـــــد

فأنت وحدك تعطي السائلين ولا ترد عَن بابك المقصود من قصدوا

والخير عندك مبذول لطالبـــــه حَتى لمن كفروا حَتى لمن جحـــدوا

يا ربِ إن أنت لم ترحم ضراعتهم فليس يرحمهـم من بينهـم أحــد.

اللقاء الثالث عشر

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

(الغني)

أسعد الله أوقاتنا وأوقاتكم بطاعته ورضوانه

دخل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الكعبة يومًا، فإذا هو بالتابعي الجليل الإمام العلم الفقيه سالم، ابن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقد كان علَمًا وجيهًا لا تخطئه العين، ولا يجهله أحد، فتودد إليه الخليفة هشام في الكعبة، فقَالَ له: سلني حاجتك يا سالم، فالتفت إليه سالم، وقال: إني لأستحي أن أسأل الله في بيته غيره سبحانه.

فلما خرج من الكعبة استقبله هشام، فقال: الآن سلني حاجتك -كأنه يقول له: قد خرجنا من جوف الكعبة- فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟، فقَالَ: له الخليفة هشام: من حوائج الدنيا، فَقَالَ له سالم رَحِمَهُ اللهِ عَلَيْهِ: أمَّا الدنيا فما سألتها الذِي يملكها، فكيف أسألها من غيره؟!

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17)﴾ [فاطر: 15 - 17].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)﴾ [فاطر: 15]، في ثماني عشرة مرة جاء اسم الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم، في مثل قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (133)﴾ [الأنعام: 133]، ربنا الغني سبحانه، المستغني، وكل الخلق مفتقرٌ إليه.

قَالَ الزَّجَّاج رحمه الله: "الله هو الغني المستغني عن الخلق بقدرته وعز سلطانه، والخلق فقراء إِلَى تطَوُّله وإحسانه، ذلكم هو الله الغني جل جلاله، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، الغني الذي له مُلك الدنيا والآخرة، الغني المغني عباده من الفقر، الغني سبحانه الَّذِي يعطي عطاءً بلا حدٍّ ولا انتهاء.

الغني الَّذِي لو أعطى عباده أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم، وأعطى كل واحدٍ منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكه إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخل البحر، الله هو الغني جل جلاله، غناه دائم، غناه مطلق، غناه ذاتي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فلا غنى مُطْلَقًا ولا دائم ولا ذاتي إِلَّا غنى الله جل جلاله، مطلقٌ؛ لأنه لا يقيد سبحانه لا بزمانٍ ولا مكانٍ ولا قدْر، غنًى ذاتي فغناه له جل جلاله لا يتوقف عَلَى غيره، غنًى دائم فليس ينتهي، لكن غنى الأغنياء من البشر إنما هو نسبي، فبعضهم غنيٌ بالنسبة إِلَى من هو أفقر منه، وإن كان فقيرًا في الحقيقة.

غنى البشر -وإن كانوا أغنياء- فهو غنًى مؤقتٌ ليس مُطْلَقًا ولا دائمًا، ثم هو قد يزول وقد يتغير لأي سبب.

الغني عَلَى الحقيقة هو الله، ولما نُدِبْنا في القرآن الكريم إِلَى الإنفاق والصدقة جاءت هذه الآية الكريمة الَّتِي تصحح المفاهيم وتهز النفوس، ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: 38].

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: 7]، هذَا طرفٌ من معاني غنى ربنا الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، استغنائه عن خلقه، عن عبادتهم، عن طاعاتهم، إي والله، ما أمرنا الله جل جلاله بعبادته وطاعته إلا لحاجتنا نحن وفقرنا، وَأَما هو فغنيٌّ تبارك في علاه.

ربنا الغني جل جلاله، يُكسب عباده من الغنى ما تسعد به حياتهم، وتقر به نفوسهم، هذان ركنان عظيمان، يقوم عليهما قائم العبودية الحق في قلوب العباد، اعترافها بالغنى اَلْمُطْلَق لله جل جلاله، وبالفقر

اَلْمُطْلَق للعباد، وحاجتهم، وقد اجتمع الأمران في قوله سبحانه -والنداء لي ولك، ولكل البشرية- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)﴾ [فاطر: 15].

تأملوها مرةً أخرى: ﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [فاطر: 15]، كلكم أَيُّهَا الناس أغنياؤكم وفقراؤكم، أثرياؤكم وأباطرتكم، ملوككم وعظماؤكم، الكل دخل في هذَا الوصف: ﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [فاطر: 15]، تدري لمَ؟

لأن الغنى الحقيقي هو الذي قَالَ الله فيه: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15]، فبماذا نصف إذن غنى الأغنياء وثراء الأثرياء؟ هو الغنى العَرَضِي المؤقت، ليس الغنى عن كثرة العَرَض، إنما الغنى غنى النفس كما قال عليه الصلاة والسلام.

غنى النفس قناعتها، إيمانها، ثقتها، يقينها، اكتفاؤها بما قُسم لها، هذَا هو الغنى الحقيقي.

أَيُّهَا الكرام، لنا ربٌّ غني سبحانه وتعالى، غنيٌّ عن عبادتنا، وعن الخلق أجمعين، غنيٌّ مستغنٍ عن خلقه بقوته وقدرته، وعز سلطانه سبحانه وتعالى، ولأنه غني فإنما يلجأ الفقراء إليه، يطلبون رحمته ورضاه، يلتزمون طاعته، ويسألون هداه، لأن ربنا غني، فإنما يُطلب المال إذا احتاج إليه العبد والنعمة والصحة وسائر أنواع النعم إنما تُطلب من الله الغني.

﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: 32]، كما قَالَ الله عز وجل، وفي دعوات الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»، ليس غنى المال بالضرورة فقط، غنى المال المكسب الحلال، غنى البدن صحته وعافيته.

غنى العقل رجاحته ونوره.

غنى القلب قناعته وهكذا، غنى كل شيءٍ بحسبه.

والله الغني مالك ذلك كله، وإنما يُسأل الله عز وجل من فضله.

اللهم يا غني يا كريم، فأغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللقاء الرابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(القدوس)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لمَّا رجع الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة ممن هاجر إلى الحبشة، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟»، قال فتيةٌ منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوسٌ ذات يوم إذ مرَّت بنا عجوزٌ من عجائز رهبانهم تحمل على رأسها قلةً، إذ مرَّت بفتًى منهم، فجعل يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرَّت على ركبتيها وانكسرت القلة، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت له: أي غُدَر، سوف تعلم إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَتْ، صَدَقَتْ»، كيف يقدس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم، أخرجه ابن ماجه، وحسنه الألباني.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)﴾ [الجمعة: 1].

اسم الله سبحانه وتعالى القدوس، جاء في موضعين في القرآن الكريم:

أَحَدُهُمَا: في ختام سورة الحشر، وسط ذاك السَّرد العجيب البديع من أسماء الله الحسنى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23)﴾ [الحشر: 23].

وأما الموضع الثَّاني: ففي مطلع سورة الجمعة، في قول الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)﴾ [الجمعة: 1].

لقد امتثل النبي عليه الصلاة والسلام، لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم معنى التسبيح لله باسمه القدوس سبحانه وتعالى، فقد كان يسبح عقب وتره صلى الله عليه وسلم يقول: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ»، كما في حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»، القدْس بسكون الدال وبضمها القدُس بمعنى: الطُّهر لغةً، وتقدَّس أي: تطهَّر، والتَّقديس بمعنى: التَّطهير.

إن اسم القدوس لله سبحانه وتعالى يعني: المحمود المنزه عن النقائص والمعايب، وعن كل ما لا يليق به جل جلاله، له منتهى أكمل الكمالات في الطهارة وصفًا ومعنًى وملكا، له أكمل الكمالات ومنتهاها سبحانه في البركة والخير من كل وجوهها، فسبحان الملك القدوس ربِّ الملائكة والروح.

سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ بالضم فيهما، أو سَبُّوحٌ قَدُّوسٌ بالفتح فيهما، جائزان صحيحان في تنزيه ربنا جل جلاله بهاتين الكلمتين الطيبتين، إن اسم الله سبحانه وتعالى القدوس الذي يعني: أنه المنزه سبحانه وتعالى تمام التنزيه عن كل ما يقوله المبطلون ويصفه به الجاهلون.

ولنعيش هذا المعنى في حياتنا -عباد الرحمن-، علينا أن ننزه الله عز وجل تمام التنزيه، فإن ربنا قدوسٌ سبحانه، له أوصاف الجلال والكمال والجمال جل في علاه، منزهٌ عن كل افتراضات العقول وأوهام الخيال، منزهٌ سبحانه عن كل افتراضٍ وتصورٍ قاصر تعيشه عقول البشر، يُنزه سبحانه أن يُشبَّه في شيءٍ من أسمائه أو صفاته أو أقواله أو أفعاله بشيءٍ من خلقه، لأنه منزه عن موجبات الحدث وصفات المخلوقين.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، ربنا قدوسٌ سبحانه وتعالى تنزه وتعالى وتقدس جل جلاله عن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى، تعيش القلوب هذا المعنى العظيم والتقديس لربنا القدوس سبحانه حتى تتطهر قلوب أهل الإيمان بطهارة إيمانها بالله جل جلاله، فإذا طهُرت وتقدست النفوس حُقَّ لها أن يكون لها من خير الله ونعيمه وبركته ما تنتظره في الدنيا قبل حلولها في دار الكرامة في الآخرة.

ومن لطيف قول ابن القيم رحمه الله تعالى: أن الله قدوسٌ تنزه سبحانه، فلا يجاوره في جنته إلا من طاب وتطهر بإيمانه وعمله الصالح، فسبحان الملك القدوس ربنا ورب الملائكة والروح سبحانه من إلهٍ عظيم، لا يحصي أحدٌ من الخلق ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه، والحمد لله رب العالمين.

اللقاء الخامس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(القدير)

أسعد الله أوقاتكم بالمسرات، حكى القرآن لنا قصةً عجيبةً في شأن الرجل الذي

﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ﴾ لم يتغير.

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾ [البقرة: 259]، أعقبتها تمامًا قصة إبراهيم عليه السلام، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً

مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)﴾ [البقرة: 260]، إنه الله القدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44)﴾ [فاطر: 44].

من أسماء الله تَعَالَى القادر والقدير والمقتدر، وثلاثتها وردت في القرآن الكريم، وتشترك في أنها تحمل صفة القدرة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عَلَى تفاوتٍ بينها في قوة اختصاصها بمعنى دون بعضها:

فاسم المقتدر؛ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55)﴾ [القمر: 54، 55].

واسم القادر؛ في مثل قوله تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (40)﴾ [القيامة: 40].

ومثل قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: 65].

أما اسم القدير؛ فهو أكثرها وقوعًا في القرآن، وقع في نحوٍ من خمسٍ وأربعين مرةً، وهو بهذا في عِداد الأسماء الحسنى الأكثر ورودًا في القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20] كثيرة جدًا في كتاب الله الكريم.

إنها تثبت صفة القدرة التامة لله، فقدير صيغة مبالغة؛ أي: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالغ القدرة في كمالها وتمامها، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقدرته خلق الخلق من عدم، وأوجد الموجودات، وبقدرته سبحانه دبرها، وبقدرته تبارك وَتَعَالَى رتب أمرها، وأكملها، وأحسن خلقه، وبقدرته جل فِي عُلَاهُ يميتها ويحييها، بقدرته يبعث العباد يوم المعاد، فيجازي كل عاملٍ بما عمل، يجازي الَّذِينَ أحسنوا بالحسنى، ويجازي الَّذِي أساؤوا أيضًا بسيئات أعمالهم.

ربنا قدير؛ أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، هي القدرة التي تملأ نفوس العباد إيمانًا بربٍّ قديرٍ لا يُعجزه شيء، بربٍّ قديرٍ عَلَى كل شيء، قدرته تشمل ما يقوى عليه العبد وما يعجز عنه، لأن الرب سبحانه تفرد بهذا المعنى العظيم ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

في دعاء الاستخارة علمنا النبي صلى الله عليه وسلم هذَا الْدُّعَاء العظيم، يقول فيه العبد بعد ما يصلي ركعتين من غير الفريضة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛

فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَتَقدِرُوَلَا أَقْدِرُ، وَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ(ويسميه) خَيْرٌ لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، وإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّلِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَ اقْدُرْلِيَ الْخَيْرَحَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ».

علمنا النبي عليه الصلاة والسلام كيف نجعل من هذا الاسم الكريم (القدير، القادر) كيف نجعل منه ثقلًا في النفوس نركَن إليه، وركنًا شديدًا نأوي إليه، وتوسلًا عجيبًا نتوسل إِلَى ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به، فنسأله باسمه القدير؛ فنملأ نفوسنا الضعيفة قوة، لأن لنا ربًّا قديرًا.

إي والله يا كرام، لا ينبغي لعبدٍ مؤمنٍ أن يذل ويخضع لقويٍّ، وله ربٌّ قويٌّ قادرٌ قاهرٌ سبحانه، وهو عَلَى كل شيءٍ قدير، هكذا هو اسم القدير يا عبد القدير، ويا أمة القدير، هكذا يضفي هذا الاسم الكريم على النفوس المؤمنة ثِقَلاً تُثبت به أقدامها، فلا تتزعزع، ولا تنحني ولا تركع إلا لربها القادر سبحانه.

وما حولها من قوى البشر فإنما هي محدودةٌ، عاجزةٌ في الحقيقة.

بمثل هذَا المعنى يا كرام تستنصر أمة الإسلام في مواقف الذل والهوان، في مواقف الضعف والاضطهاد، وهي تعلم أن من سنن الله تعالى أن تُدَالَ الأمور تارةً، فتكون لها مرة وعليها مرة، والله عز وجل قد أخبرنا في القرآن بمثل هذا المعنى؛ لئلا تنكسر نفوس أهل الإيمان، لئلا يحيط بها الجزع والوهن، واليأس والإحباط، وأن تبقى -مهما بقي فيها بصيصٌ من أمل، وذرةٌ من إيمان- أن تبقى مرتكنةً إِلَى ربها القوي القادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

واسمعوا إلى كلام ربكم، كما في ختام سورة فاطر: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44)**﴾ [فاطر: 44].

اللقاء السادس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(القريب)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وحيَّ هلًا بكم.

في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لما غزا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر، أو قَالَ: لما توجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أشرف الناس عَلَى وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير: اللَّهُ

أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا».

قَالَ أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وكنت خلف النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعلت أقول في نفسي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ- فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ قَيْسٍ»، قلت: لبيك يا رسول الله، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟»، قلت: بلى، فداك أبي وأمي يا رسول الله، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾ [البقرة: 186].

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾ [البقرة: 186]، **هذَا أحد المواضع الثلاثة** الَّتِي ورد فيها اسم الله القريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم.

- **وَأَمَّا الثَّانِي:** ففي قوله عَزَّ اسْمُهُ عَلَى لسان نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يخاطب قومه: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61].
- **وَأَمَّا الثَّالِث:** ففي ختام سورة سبأ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50)﴾ [سبأ: 50].

ربنا القريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسمٌ يتضمن صفة القرب له جَلَّ جَلَالُهُ من عباده، وقربه من عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قرب علمٍ وإحاطة، فهو يسمع ويبصر ويعلم ما يعمله الخلق ويفعلون.

هذَا القرب من الله جَلَّ جَلَالُهُ ينبئ عن عظمة للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو في مثل قوله تعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)﴾ [ق: 16].

إن القرب الآخر من الله جَلَّ جَلَالُهُ هو قربٌ لفئةٍ من عباده من أهل الإيمان، وقرب نصرةٍ وتأييدٍ وعونٍ وتوفيق، قرب حفظٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمن شاء من أهل دينه وعباده المؤمنين.

وفي مثل ذلك يأتي قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

قريبٌ ربنا من عباده المؤمنين بالنصر والتأييد، وكذلك كان حال الأنبياء والرسل عليهم السلام، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: 34].

وربنا قريب من دعاء من دعاه، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قريبٌ من توبة التائب والمنكسر، من عبادة الطائع، من استغفار المستغفر، ربنا قريبٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فسبحان القريب، القريب في علوه، العظيم في دنوه، جَلَّ جَلَالُهُ وتبارك اسمه.

من لطيف ما ذكره بعض أهل العلم في قول ربنا سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186] أن الله جَلَّ جَلَالُهُ لم يقل: وإذا سألك عبادي عني فقل: إني قريب، بل كان الجواب مباشرةً للعباد السائلين، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]، لأنه قريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لقد عاش نبي الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ إيمانه بهذا المعنى من قرب ربه عَزَّ وَجَلَّ، فدعا وسبح -وهو هناك في بطن الحوت، في أعماق البحار-: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾ [الأنبياء: 87، 88].

إن القريب قريبٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قريبٌ من عباده.

إذا استشعر العبد معنى القرب وقر في قلبه أن الله عَزَّ وَجَلَّ قريب منه، فكيف بالقريب سُبْحَانَهُ عندما يكون المقام أشد قربًا؟

في الحديث: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»، فماذا فاعل أنت عبدالله في قربك في السجود من ربك القريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الْدُّعَاءِ»، وفي الحديث أيضًا في الصحيحين: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ»، هذَا ربنا القريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

حقًّا علينا معشر العباد ونحن نؤمن بقرب ربنا القريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن تنتهض النفوس، وأن تتقرب إليه جَلَّ جَلَالُهُ، والله يقول: «وَإِذَا تَقَرَّب مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا».

يا كرام، ربنا قريب سُبْحَانَهُ، فلا يليق بالعبد الصالح الفطن المحب لربه إلَّا أن يزداد قربًا من ربه القريب، تقربوا إِلَى الله بما استطعتم.

واعلموا أنكم لن تتقربوا إليه بشيءٍ أحب إليه سُبْحَانَهُ مِمَّا افترض علينا من العبادات، ولا يزال أحدنا يتقرب إِلَى ربنا القريب سُبْحَانَهُ بِالنَّوافِلِ حَتَّى يحبه الله جَلَّ جَلَالُهُ، كما ثبت في الحديث القدسي.

أيا كرام، إن إيماننا بقرب ربنا القريب سُبْحَانَهُ يبعث في النفس توازنًا، توازنًا بين خوفٍ نشعر فيه بقرب ربنا المطلع عَلَى أحوالنا وخفايانا، ما في السرائر، وما تكنه الضمائر، فنصحح من شأننا ما استطعنا، وبين حالٍ نجد فيه أنفسنا منقادين حبًّا وشوقًا طمأنينةً وثقةً لأن ربنا القريب قريب يحوطنا يحفظنا ينصرنا يستجيب دعاءنا، فتقربوا تقربوا إِلَى الرَّبِّ القريب جَلَّ فِي عُلَاهُ.

اللقاء السابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

(القهــــار)

أهلًا وسهلًا بكم حياكم الله

لما قدم أبرهة بجنده وجيشه وفيلته يشق الأرض، لا يقابله شيء ويهابه كل شيء، يريد هدم الكعبة بطرًا وعتوًّا، لم يكن عزيزًا عَلَى الله أن يهلكه بأكثر من طيرٍ أبابيل ترميهم بحجارةٍ من سجيل، فجعلهم كعصفٍ مأكول.

وكذلك الطغاة والعتاة عَلَى مر التاريخ، كذبت عاد واستكبرت، وقالوا: من أشد منا قوة؟!

وثمود الَّذِينَ كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا فارهين، وقد أوتوا من القوة وأسبابها ما حكى القرآن.

وَأَمَّا فرعون الَّذِي بلغ بعتوه وكبريائه أن قَالَ: أنا ربكم الأعلى، لما قَالَ الملأ من قوم فرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: 127].

قَالَ المتكبر: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127]، زال العتاة، وباد الطغاة، وبقي قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: 4].

﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17)﴾ [غافر: 16، 17].

في ست آيات من القرآن الكريم جاء اسم ربنا القهار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

في مثل قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: 16].

وَأَمَّا اسم القاهر جَلَّ وَعَلَا؛ فقد وقع مرتين في سورة الأنعام، في قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18)﴾ [الأنعام: 18].

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61)﴾ [الأنعام: 61].

الله القاهر، والقاهر اسم فاعلٍ من القهر، وهو الغلبة والنصرة والعلو عَلَى الغير مع تمام القوة والسلطة.

والقهار صيغة مبالغة، فربنا عَزَّ وَجَلَّ قد نفذ أمره في جميع خلقه، وكل خلقه بلا استثناء مقهورٌ تحت سلطانه وتدبيره وأمره لأنه الواحد القهار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

في الحديث الصحيح، أن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ كان إذا تضوَّر من اَللَّيْل -يعني تقلب عَلَى فراشه لم يأته النوم- قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»

حَتَّى عَلَى الفراش كان ينبض قلب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويخفق عبوديةً لله، تذللًا إخباتًا، استشعارًا لمعاني أسمائه الحسنى وصفاته العلا، يدوّي بها بينه وبين نفسه عَلَى فراشه، يعلن فيها توحيده لله الموصوف بالوحدانية، الموصوف بالقهر سُبْحَانَهُ، الموصوف بالربوبية والعزة والمغفرة، ما أطيبها من حياة استشعارًا بأن ربنا القاهر سُبْحَانَهُ جعل عباده كلهم تحت قهره، فأمره نافذ فيهم، وتدبيره أيضًا لا خيار لهم فيه، ينفذ أمره وحكمه سُبْحَانَهُ في خلقه طوعًا وكرهًا.

قهر عباده حَتَّى بالموت، فكلهم مقهور، فأقوى الأقوياء، وأعتى العتاة وأكثر الأباطرة طغيانًا عَلَى وجه الأرض فإنه يومًا ما سيذبل وينتهي، ومآله إِلَى زوالٍ وفناء، وصدق الله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

قَالَ الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: "القاهر الَّذِي قهر عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر جميع خلقه بالموت"

قهر الله لخلقه نوعان:

- **عام**: بالموت ونفوذ الأمر الَّذِي لا مرد لأحدٍ من الخلق عنه، فكلهم مقهورٌ لله بهذا المعنى.
- **وَأَمَّا الخاص**: فَالَّذِي ينزل بأرباب العتو والطغيان والعلو والاستبداد الَّذِي يأباه الله بين العباد، فتنزل عقوبة القاهر القهار جَلَّ جَلَالُهُ لتجعل للطغاة حدًّا، ولبغيهم بين العباد أجلًا محتمًا.

إن امتلاء القلب -أمة الإسلام- بصفة القهر الَّتِي يتصف بها ربنا القهار سُبْحَانَهُ، ونتعبد لله جَلَّ جَلَالُهُ باسمه القهار واسمه القاهر لَيزرع في النفس معاني عظيمة، تنشئ صفتين كريمتين تحتاجهما النفوس المؤمنة:

- **إحداهما:** تمام الذل والانقياد والخضوع لأن لها ربًّا قاهرًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- **وَأَمَّا الأخرى:** فهي أن تُحمل النفوس عَلَى أن تنأى عن الاستبداد والعلو والطغيان، وذلك القهر المذموم في العباد؛ لأنها مَتَى علمت أن القهر لا ينبغي إِلَّا لله صفة مدح وكمال، فإنها تتنزه عنه، لأن قهر البشر إِنَّمَا يقترن دومًا بالطغيان والعلو والاستبداد، والله قد قَالَ في كتابه الكريم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾ [القصص: 83].

أما إن جزءًا من معاني إيماننا بالله القهار سُبْحَانَهُ، وامتلاء القلوب بهذا المعنى العظيم لربنا القاهر تبارك وَتَعَالَى يعطينا قوةً وثباتًا، مهما تلاطمت بنا أمواج الحياة، واستبد ببعض جوانب حياتنا أصناف الطغاة، وتجرؤوا عَلَى الحرمات، وتجاوزوا الحدود في تعاملهم مع العباد، فإن لنا ربًا كريمًا إذا ارتفعت له الأيادي، وتعلقت به القلوب، وناجته الضمائر مؤمنةً موقنةً مستنزلةً نصرها، طالبةً حقها من ربٍّ كريمٍ تؤمن بأنه عظيمٌ قادر، بأنه قويٌّ قاهر.

والله إن الأرض لتتزلزل، وإن الجبال تُدك إذا تنزل نصر الله نصرًا للضعفة، وأخذًا لحقوقهم، وعقوبةً للطغاة المستبدين، واقرؤوا التاريخ فكم بادت الأمم، وتعاقب الطغاة المعاندون المكذبون لله، المحادُّون لدينه، المحاربون لرسله وأوليائه فأين هم؟ بادوا وزالوا وبقيت آثارهم، تبقى عظةً وعبرةً وآية يستلهم منها البشر الدروس والعبر والعظات، ويبقى هذَا اليقين بأن ربنا هو الواحد القهار.

اللقاء الثامن عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(القيـوم)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في بعض روايات غزوة بدرٍ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد أخرجها البيهقي، وحسنها الهيثمي، قال رضي الله عنه: لما كان يوم بدرٍ قاتلت شيئًا من قتال، ثم جئت مسرعًا أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يصنع؟ فإذا هو ساجدٌ وهو يقول: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ»، لا يزيد عليهما شيئًا.

قال: ثم رجعت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو يقول مثل ذلك: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ»، قال: فما زلت أذهب وأرجع وهو على هذه الحال إلى أن فتح الله علينا بالنصر المبين.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112)﴾ [طه: 111، 112].

اسم الله سبحانه وتعالى القيوم جاء ثلاث مراتٍ في القرآن الكريم، وفي المواضع الثلاثة اقترن باسم الله سبحانه الحي:

- **وأول ذلك**: آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255].
- **الثانية**: في مطلع سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (3) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ أَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: 2 -4].
- **الثالثة**: في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111)﴾ [طه: 111].

وفي دعواته صلوات الله وسلامه عليه: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»، إن القيوم اسمٌ من أسماء الله تعالى العظيمة التي تنبض وتقطر تعظيمًا وتمجيدًا لله سبحانه وتعالى.

اسم القيوم يحمل معنيين قريبين في الدلالة من هذا الاسم مباشرة:

أحدهما: أنه سبحانه وتعالى القائم بذاته غير مفتقرٍ في قيامه إلى غيره، لأنه جلّ جلاله قائمٌ قيامًا ذاتيًّا أبديًّا أزليًّا، هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء.

والمعنى الآخر: قيامه سبحانه وتعالى بأمر خلقه في دنياهم وأخراهم، فهو الخالق سبحانه، خلقهم، وهو يدبر أمورهم، وهو يصرف أحوالهم، وهو يرزقهم، وهو يتولى أمرهم، ويحصي أعمالهم، ثم هو يحشرهم ويحاسبهم سبحانه وتعالى.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ (33)﴾ [الرعد: 33]، قائمٌ عليهم، يحصي أعمالهم سبحانه ويحاسبهم ويجازيهم عليها بعد البعث والنشور، ويجمع المعنيين أن الله جل جلاله لا يفتقر في قيامه إلى شيء، ويحتاج إليه كل شيء سبحانه وتعالى.

وما أحسن قول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

هذا ومن أوصافه القيومُ   والقيومُ في أوصافه أمرانِ:

إحداهما: القيوم: قام بنفسه   والكون قام به هما الأمران

فالأول استغناءه عن غيره   والفقر من كلٍّ إليه الثاني

والوصف بالقيوم ذو شأنٍ عظيمٍ   كذا موصوفه أيضًا عظيم الشأن.

إن هذا الاسم الكريم من أسماء الله الحسنى -القيوم- مما تفرد الله عز وجل به، ويختص به سبحانه وتعالى لفظًا ومعنى، فلا يجوز لأحد من خلقه التسمي به، فلا قيوم إلا الله جل جلاله، إن القلوب التي يستقر فيها بيقين معنى اسم الله سبحانه وتعالى القيوم لهي قلوبٌ تمتلئ إيمانًا، تمتلئ بالله ارتباطًا، وعليه توكلًا وإليه تفويضًا.

إنها قلوبٌ أيقنت أن الله سبحانه وتعالى القيوم، قائمٌ بخلقها ورزقها ومعاشها وأقواتها، أن الله قائمٌ بكل ما تصلح به حياتها، وأن الله قائمٌ بأعمالهم يحصيها ويجازيهم عليها يوم يلقونه، ذاك القلب -أمة الإسلام- هو القلب الذي يمتلئ تعظيمًا وإخباتًا وارتباطًا بخالقه سبحانه وتعالى؛ لأنه قيومٌ جل جلاله.

وها هنا نتلمس أثر دعوة المصطفى عليه الصلاة والسلام: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»، لأن العبد إذا وكله القيوم سبحانه وتعالى إلى نفسه هلك ولو كان طرفة عين.

أيها الكرام: إن اسم الله سبحانه وتعالى القيوم الذي ارتبط باسم الحي سبحانه يدل دلالةً عظيمةً على هذا الارتباط في حياة الله وقيوميته، حياةٌ كاملةٌ أزليةٌ أبدية، وقيوميةٌ ذاتيةٌ أزليةٌ أبدية، فيتوسل العبد بهذين الاسمين المرتبطين في كتاب الله الكريم.

ولقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، فاجعلوها في دعواتكم توسلًا كريمًا إلى الله الكريم، ورددوها دومًا يا حي يا قيوم.

اللقاء التاسع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

(الشافي)

في الصحيح قصة امرأة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لمَّا جاءت إليه وقد أخبرها أن التولة والتمائم شركٌ، قالت له: إن عينها كانت تقذف فكانت تختلف إِلَى راقٍ يهودي -أي تتردد عليه للرقية- فإذا رقاها سكنت،

فَقَالَ لها عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -بيقينٍ وفقهٍ وعلمٍ جازم- قَالَ: إِنَّمَا ذاك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها.

ثُمَّ أرشدها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى المنهج النبوي، والهدي الشرعي في هذَا الباب، فَقَالَ لها: إِنَّمَا كان يكفيكِ أن تقولي كما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اِشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا».

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81)﴾ [الشعراء: 78 - 81].

ليس في القرآن الكريم ورود اسمٍ لله تَعَالَى بلفظ الشافي، نعم، جاء في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الشعراء: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)﴾ [الشعراء: 80]، فصح نسبة هذَا الأمر وصفة الشفاء لله عَزَّ وَجَلَّ.

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما في صحيح مسلم، أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا عاد مريضًا ورقاه، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»، فَقَالَ: «أَنْتَ الشَّافِي»، فالله عَزَّ وَجَلَّ الشَّافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومنه أيضًا في هذَا المعنى ما أخرج الإمام أبو داوود في سننه وصححه الألباني في حديث الصحابي الجليل أبي رمثة، لما قدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، وفي الحديث قصة.

وأنه لما قدم هو ووالده فرأيا خاتم النبوة في ظهر النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ والد أبي رمثة: أرني هذَا الَّذِي في ظهرك فإني رجلٌ طبيب.

ظن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن خاتم النبوة -وقد كان قطعةً من اللحم بارزةً لها نتوءٌ في ظهر رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قرب كتفه الأيسر- ظنه غدةً بارزةً، ومرضًا يحتاج إِلَى علاج، قَالَ: أرني هذَا الَّذِي في ظهرك فإني رجلٌ طبيب -يعني لي معرفةٌ بالمداواة وطرق العلاج- فَقَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ الطَّبِيبُ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ، طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا».

تلطف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في جوابٍ أراد أن يقول له: ليست بداءٍ ولا مرضٍ يستوجب علاجًا، قَالَ: «طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا».

فقوله: «اللَّهُ الطَّبِيبُ» أي أن الله الشافي المعافي عَلَى الحقيقة، وما طب الأطباء وأدويتهم وعلاجاتهم إِلَّا أسباب، لكن الشافي عَلَى الحقيقة هو الله جَلَّ جَلَالُهُ، والأمر كما قَالَ الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)﴾ [الشعراء: 80].

فالله الشافي الَّذِي يجعل للأدواء والأسقام والأمراض والعلل علاجًا ودواءً، علمه سُبْحَانَهُ من شاء من خلقه، فهو الشافي، وجعل فيه شفاءً لمن أراد من خلقه فهو الشافي، وكتب من الأسباب ما تزول به الأمراض وتندفع به الأسقام، وتزول به العلل لأن الله هو الشافي، وصدق الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)﴾ [الشعراء: 80].

لأننا بشر تعترينا الأمراض والأسقام والعلل والأدواء، وليس فينا أحد إِلَّا ويعتريه مرض أو في بيته مريض أو يزور مريضًا، والشافي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الشافي جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي قَالَ عنه النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا وَ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»

الله هو الشافي، فيُقصد سُبْحَانَهُ للشفاء.

الله الشافي، كما يشفي الأبدان من العلل والأمراض والأوبئة فإنه سُبْحَانَهُ يشفي الصدور من الشُّبه والشكوك، يشفي القلوب من الغل والحقد والحسد وسائر أدوائها، الله هو الشافي.

إن من ضيق التصور أن نجعل مفهوم الشفاء الَّذِي نطلبه من الله مقتصرًا عَلَى أمراض البدن.

يا قوم، ربنا الشافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يشفي الأبدان والأرواح.

الشفاء الحسي والمعنوي إِنَّمَا يُطلب من الله، ولئن كنا نتألم لأمراض الأبدان في البطون والظهور، أو في اليد والرجل، أو في الرأس والقدم، فإن أمراض الأرواح أشد فتكًا.

وإذا كنا نهرع، نفزع، نبحث عن طبيبٍ نجد عنده طبًّا لزكامٍ وسعالٍ وألم بطنٍ وشيءٍ من تلك الأدواء، فإن حاجتنا إِلَى معالجة الأرواح الَّتِي تمرض ثُمَّ تذبل وتوشك أن تموت هي أشد إلحاحًا، والله هو الشافي.

نطلب الشفاء من الله، نستلهم منه إنقاذًا لأرواحنا الَّتِي تمرض وتسقم، ونطلب منه الدواء لأبداننا الَّتِي أيضًا يصيبها التعب والأوجاع.

يرقد المرضى عَلَى أسرة المستشفيات، ويلزمون الفرش، وتتعطل مصالح حياتهم، ريثما يأتي الفرج من الله وينزل عليهم الشفاء.

إنَّ تأخر العافية الَّتِي ينتظرها المريض عَلَى شغف، ويتعلق بها عَلَى بصيصٍ من الأمل لا ينبغي أن يؤثر في إيماننا ويقيننا بأن الله هو الشافي.

لأن الله سُبْحَانَهُ ربما يؤخر الشفاء عن عبدٍ لحكمةٍ أرادها جَلَّ فِي عُلَاهُ، والعبد ليس يعلم إِلَّا الأمر القريب الَّذِي يقع تحت نظره، وَأَمَّا ما يكون في المآلات، وما حجبته حجب الغيب، فالله سُبْحَانَهُ وحده المطلع عَلَى ذلك كله.

فإن تأخر الشفاء أو أبطأ فلحكمةٍ أرادها الله، والعبد إن صبر واحتسب وبقي في يقينه بأن الله الشافي لا يزال مأجورًا.

في الحديث الصحيح: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا وَجَعٍ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كُفِّرَ بِهَا عَنْهُ مِنْ خَطَايَاهُ**»

الله هو الشافي سُبْحَانَهُ، ويُلتمس الشفاء للقلوب، للأبدان، لأمراض الحس والمعنى من الله فهو الشافي سُبْحَانَهُ.

فاللهم إنا نسألك شفاءً لا يغادر سقمًا، وعافنا يا رب في أبداننا، وأرواحنا، وسائر أحوالنا، عافنا واعفُ عنا، أَيُّهَا الكريم الشافي.

اللقاء العشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الكافي)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

في قصة هجرة الحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بصحبة الصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لمَّا أويا إِلَى الغار، ووصل البحث والرصد والطلب إِلَى فم الغار، وَالنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينصتان إِلَى وقع الخطا وقد وصلت الأقدام إِلَى فم الغار، ليقول أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فيقول النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واثقًا بربه متوكلًا عليه، مفوضًا أمره إليه في إيمانٍ عظيمٍ ويقينٍ تام: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**»

لقد كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ينطلق من إيمانٍ عظيم، والله عَزَّ وَجَلَّ قد قَالَ له: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 36]، فَصَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ (37)﴾ [الزمر: 36، 37].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36)﴾ [الزمر: 36]، في هذا الموقع الفريد جاء اسم الله الكافي، وقد جاء بصيغة الفعل المضارع في قوله تَعَالَى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)﴾ [البقرة: 137].

وجاء بصيغة الفعل الماضي؛ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95)﴾ [الحجر: 95].

في صحيح مسلم، أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في أدعيته بعدما يفرغ من طعامه وشرابه حامدًا لربه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يقول: «الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ».

اسم الله الكافي من الفعل كفى، كفى يكفي الشيء إذا استغنى به عن غيره، والله عَزَّ وَجَلَّ الكافي، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكفي خلقه جميع ما يحتاجون إليه، بل ويكفيهم عن الحاجة إِلَى غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الله الكافي جَلَّ جَلَالُهُ، وكفايته لجميع عباده وخلقه نوعان:

- <u>كفايةٌ عامة</u>: فالله عَزَّ وَجَلَّ قد كفى جميع خلقه حاجاتهم في هذِه الحياة، فرزقهم وخلقهم ودبر معاشهم.

كفاهم الكافي لَمَّا أصلح أحوالهم، ودبر معاشهم وأرزاقهم.

كفاهم الكافي وهم يسعون في هذِه الحياة طرائق قددًا، والكافي سُبْحَانَهُ قد تكفل بكفاية جميع ما يحتاجون إليه.

الله الكافي، يكفي العباد الظلم والشرور.

الله الكافي يكفيهم الأمراض والأسقام.

الله الكافي وقد كفاهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الهموم والغموم.

هذِه كفايته جَلَّ جَلَالُهُ العامة بجميع خلقه.

- **وَأَمَّا الكفاية الخاصة**: فالكفاية الَّتِي يخص الله تَعَالَى بها أهل الإيمان من عباده، والأولياء من أهل طاعته، يكفيهم بمزيد حفظٍ وعناية، يكفيهم مِمَّا أهمهم، بل ويكفيهم مِمَّا لم يخطر لهم عَلَى بال، ينام أحدهم عَلَى فراشه وقد كفاه الله من فوق سبع سماوات، مكيدةً كان يسعى بها بعض خصومه، ومؤامرةً دبرها بعض من يكيد له.

والكافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد كفاه من فوق سبع سماوات، وقد قُرئ في قراءةٍ صحيحة: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبَادَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36)﴾ [الزمر: 36].

عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ مَنْزِلِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيَتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ، فَيَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ شَيْطَانٌ آخَرٌ: كَيْفَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟».

إخوتي الكرام، حَتَّى يحصل لنا الاستكفاء بالله الكافي سُبْحَانَهُ علينا أن نغرس في القلوب إيمانًا جازمًا ويقينًا لَا شَكَّ فيه؛ أن الله الكافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يكفينا جميع أمورنا وهمومنا وسائر أحوالنا، الَّذِي كفانا أمر غذائنا وقوتنا ونحن أجنةٌ في أرحام أمهاتنا هو الَّذِي يكفينا بعد ما خرجنا في هذِه الحياة، ولم يتركنا وحدنا نصارع أمواجها.

الله عَزَّ وَجَلَّ الكافي الَّذِي يجعل في هذِه الحياة دروبًا للعباد، يجعل فيها كفايتهم وما تصلح به حياتهم، ولنجعل في استكفائنا بالله جَلَّ جَلَالُهُ دعاءً نردده مِمَّا كان نَبِيّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعلمه بعض صحابته: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

إن الغلام المؤمن -في قصة أصحاب الأخدود- لما كادوا له وأمر الملك بقتله مراتٍ متكررة وهم قد أخذوه في قاربٍ إِلَى البحر يحاولون إغراقه، وتارةً عَلَى رأس الجبل يريدون ترديته من شاهق ولم يزد عَلَى قوله: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»، فكفاه الكافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يا كرام، إن اسم الكافي جَلَّ جَلَالُهُ يجعل في النفوس المؤمنة رصيدًا عظيمًا من هذَا المعنى العظيم، ألا إنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3].

اللقاء الواحد والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الكبير)

أسعد اللحظات، وأبرك الساعات

في الصحيح أن حَبرًا من أحبار اليهود جاء إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يا مُحَمَّد إنا نجد -أي في التوراة- إنا نجد أن الله يجعل السماوات عَلَى إصبع، والأراضين عَلَى إصبع، والشجر عَلَى إصبع، والماء والثرى عَلَى إصبع، وسائر الخلائق عَلَى إصبع.

قَالَ: فضحك النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحَبر، ثُمَّ قرأ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)**﴾ [الزمر: 67]، اللَّهُ أَكْبَرُ ولله الحمد.

﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)**﴾ [الرعد: 8، 9].

اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكبير من أسماء العظمة، وربنا عظيم.

الكبير جاء في القرآن الكريم ست مرات:

في مثل قوله تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [الحج: 62].

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ [النساء: 34].

وقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [سبأ: 23].

"الكبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العظيم الَّذِي صغر لعظمته كل شيءٍ فلا أكبر منه"، كما قَالَ الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الكبير الموصوف بالجلال وكِبَر الشأن، فصَغُر دون جلاله كل كبير".

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ صيغة تفضيل تقضي بأن اللَّهُ أَكْبَرُ من كل شيء، وأن الله لا أكبر منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

اللَّهُ أَكْبَرُ فهو ذو الكبرياء، الَّذِي تعاظم في ذاته وفي أسمائه، وفي صفاته وتمتلئ قلوب أهل الإيمان تعظيمًا لهذا الرَّبِّ الكبير.

اللَّهُ أَكْبَرُ؛ تركن النفوس إِلَى هذِه الكلمة، ونعيشها شعارًا لنا -أمة الإسلام- في عباداتنا، فنكبر الله في الصلوات، نكبر الله في الطواف، نكبر الله في السعي، نكبر الله في الحج والعمرة، نكبر الله في أركان ديننا، نكبر الله في كل أحوالنا، نكبر الله في أذكارنا صبحًا ومساءً، وفي أدبار الصلوات.

إننا نسعى إِلَى ملء القلوب تكبيرًا لربنا الكبير، فتمتلئ النفوس ثقةً، والأرواح أُنسًا، والقلوب المؤمنة طمأنينةً، وهي تركَن إلى ربٍّ كبيرٍ عظيمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله أكبر كبيرًا.

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال؛ مجيء اسم الله الكبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذَا السياق في الآية الكريمة يراد منه بعث هذَا المعنى في النفوس، وهو تعظيم الله، وملؤها بأن لنا ربًّا كبيرًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا ينبغي أن يبقى في النفوس تكبير شيءٍ أكبر من الله، أقصد: لا يمكن أن تكون الأهواء وملذات النفوس ومعاصينا وشيءٍ مِمَّا أدمنت عليه الأبدان والقلوب والجوارح من الخطايا والزلل لا يمكن أن تكون أكبر من تكبيرنا لله، وتعظيمنا لأمره ونهيه.

وذاكم دواء يعالج في النفوس تقصيرها، فإذا وقف المصلي بين يدي الله قبل أن يدخل في عمق عبادةٍ يَذل بها خضوعًا لله فإنه يستفتح بقوله: اللَّهُ أَكْبَرُ، لنرمي الأهواء والشهوات والخَطَرات ونقبل عَلَى ربٍّ هو أكبر من ذلك كله سُبْحَانَهُ.

أي همٍّ يمكن أن يغشى صاحبه فتنغلق أمامه أبواب الفرج وتَسْوَدُّ الدنيا في عينيه؟! أي همٍّ أنت صاحبه -عبد الله- مهما كان كبيرًا في حياتك، وأنت عبدٌ مؤمنٌ ما زلت تقول صبح مساء اللَّهُ أَكْبَرُ، أي عدو أرجف عليك بخيله ورَجِلِه وبعث فيك الخوف عن يمينك وعن شمالك، وبت قلقًا لا تنام ولا تعرف للراحة وغمض العينين سبيلًا، مهما كان عدوك ضخمًا وكبيرًا وأنت تعلنها وتُدوِّي بها في اليوم مراتٍ ومرات اللَّهُ أَكْبَرُ.

اللَّهُ أَكْبَرُ ما زالت تُدوِّي بها حناجر المصلين والملبين والمحرمين، اللَّهُ أَكْبَرُ ما زالت في ميادين الجهاد وساحات المعارك، رفرفت بها رايات النصر، وتنزلت بها جنود السماء تنجد أهل الإسلام، وتأتيهم بنصرٍ من ربنا الكبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الكبير جَلَّ جَلَالُهُ يريد من عباده أن يعرفوا حقًّا عظمته فيذعن له تواضعًا وإخباتًا، فالله الكبير وَمَتَى تكبَّر العباد وتجبروا وطغوا كانوا مستحقين للذنب، بل والوعيد والعقاب الشديد يوم يلقون الله.

الله الكبير، ولأنه كبير فإنه يفتح لعباده أبواب الرحمة والمغفرة.

يُشرع لنا التكبير -أمة الإسلام- في العيدين، عيد الفطر وعيد الأضحى، نكبر ليلة العيد وصبح العيد، وفي عيد الأضحى يستمر بنا التكبير أيام التشريق تكبيرًا مُطْلَقًا، وتكبيرًا مقيدًا.

تضج أمة الإسلام في العيدين: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ولله الحمد، يأتي التكبير في العيدين وهما فرحةٌ تبتهج بها أمة الإسلام، أوما تأملتم في مجيء العيدين عقب عبادتين كبيرتين عظيمتين فتحت فيهما أبواب الرحمة والتوبة والمغفرة والعتق من النَّار.

في عيد الفطر يأتي بعد رمضان، وفي العشر الأواخر من رمضان ولله عتقاء من النَّار كل ليلةٍ في رمضان، فضلًا عن ليلة القدر وما يغشاها من مضاعفة الرحمات والبركات، ويأتي عيد الأضحى بعد أن وقف الحجيج بعرفة، في ذلك النزول الإلهي الكريم، وما من يومٍ أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النَّار من يوم عرفة.

أليس ربًّا كبيرًا هذَا الَّذِي يغفر لعباده ولا يبالي؟! أليس ربًّا كبيرًا الَّذِي تاب عليهم، وأذن لهم بحياةٍ جديدةٍ، بصفحةٍ بيضاء نقية؟! بلى والله، فمِن ثَمَّ تعيش أمة الإسلام تمُوج بالتكبير لله عَزَّ وَجَلَّ في تلك المواقف العظام، فالله أكبر اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كبيرًا، وَالحَمْدُ للهِ كثيرًا.

اللقاء الثاني والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(المجيد)

مرحبًا بكم أحبتنا الكرام

لما عظم شأن نبي الله الخليل إبراهيم عليه السلام فكان كما قال الله جل جلاله: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)**﴾ [النحل: 120]، عظم شأنه عند ربه جل جلاله فعظمت البشارة التي سيقت إليه عليه السلام.

جاءت البشارة إليه بالولد، ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ (69)**﴾ [هود: 69]، فزع منهم: ﴿**فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26)**﴾ [الذاريات: 26]، ما لبث أن جاء بعجل حنيذ، قربه إليهم، ﴿**قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27)**﴾ [الذاريات: 27]، عندئذ جاءت البشارة وقد: ﴿**وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71)**﴾ [هود: 70، 71].

البشارة كبيرة مضاعفة عظيمة لعظم مقام الخليل إبراهيم عليه السلام عند ربه، تعجبت امرأته، ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72)**﴾ [هود: 72]

اسمع إلى الجواب الذي حملته رسل الله -الملائكة الكرام عليهم السلام- ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (73)﴾ [هود: 73]، المجيد تعاظمت عطاياه سبحانه وتعالى.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (73)﴾ [هود: 72، 73].

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (73)﴾ [هود: 73]، في هذا الموضع جاء اسم المجيد سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، كما جاء في سورة البروج: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15)﴾ [البروج: 15]، على قراءة الرفع فتكون صفةً لله جل جلاله وهو ذو العرش، وقُرئت بالخفض: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ (15)﴾ [البروج: 15]، على أنها صفة للعرش.

فإن كان العرش مجيدًا وهو خلقٌ من خلق الله فكيف بالخالق؟!

إنه أعظم تمجيدًا ومجدًا سبحانه وتعالى.

وقد وصف الله أيضًا كتابه الكريم في القرآن بأنه مجيد، فقال: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1)﴾ [ق: 1]، وإن كان القرآن كلامه وصِفةً من صفاته جل وعلا موصوفًا بالمجيد، فكيف بالمتكلم سبحانه! إنه أعظم تمجيدًا جل في علاه.

ربنا مجيد، والمجيد في اللغة الموصوف بالعظمة في ذاته وأقواله وأفعاله، ذو الشرف والمروءة.

المجيد في أسماء الله الحسنى صيغة مبالغة: فعيل، فربنا عظيم المجد المستحق لكمال التمجيد.

أجل! ربنا المجيد سبحانه وتعالى، موصوفٌ بصور الكمال وآيات الجلال ونعوت الجمال سبحانه وتعالى.

غنيٌ فوق خلقه، قاهرٌ فوق عباده، متعالٍ على عرشه، متفردٌ في ذاته، وأسمائه وصفاته، له جل جلاله المجد والعظمة بأكمل معانيها.

ربنا مجيد، اجتمعت له من صور العظمة في خلقه، في قدرته، في تدبيره، في أمره ونهيه ما جعل الكون كله يُذعن بعظمته، يعترف بمجده سبحانه وتعالى.

نحن أمة الإسلام في كل ركعةٍ نركعها في صلاتنا التي نتقرب بها إلى الله ونقف بين يديه متقربين إليه في أعظم عبادات الإسلام، ونحن نقرأ سورة الفاتحة، فإنما نمجد الله جل جلاله.

قَال الله كما في الحديث القدسي: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ عَبْدِي الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي».

إنه التمجيد لله الذي يبدأ به العبد ثناءً وتعظيمًا واعترافًا ينسب فيه كمال المجد والحمد والثناء لربه الكبير المتعال سبحانه وتعالى.

وفي الحديث الصحيح أيضًا، يقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقَاتِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَهْلَ الذِّكْرِ فِي حَلْقَةٍ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ فَيَجْتَمِعُونَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَا يَقُولُونَ؟، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: يَا رَبِّ إِنَّهُمْ يَذْكُرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: وَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا، وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، فَقَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِنَّهُمْ سَيَكُونُونَ أَشَدَّ لَكَ تَعْظِيمًا وَذِكْرًا، وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا».

المجيد سبحانه مستحق لكل ثناء وذِكر حسنٍ وإذعانٍ واعترافٍ بعظمته اعترافًا يليق بمجده جل في علاه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)﴾ [الزمر: 67]، قال الله: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمُتَعَالُ، فجعل يرددها صلى الله عليه وسلم حتى رجف به المنبر، قال: حتى ظننا أنه سيخر به.

لقد عاش صلوات الله وسلامه عليه معنى التمجيد لله سبحانه، فظهر أثر ذلك عليه في أقواله وأفعاله، وزرع في قلب أمته كيف تعيش معنى التمجيد لربنا المجيد جل في علاه.

إن ربنا مجيد سبحانه وتعالى له من الصفات أكملها وأوسعها،

له من الأسماء أحسنها وأجملها،

له من الأفعال أتمها وأحكمها، فكيف لا يُحَب ربنا سبحانه وتعالى الحب كله؟!

أجل والله! إن لنا ربًّا مجيدًا، يملأ قلوبنا بهذا الاسم العظيم حبًّا وإجلالًا وتمجيدًا وتعظيمًا.

فلنمجد -أمة الإسلام- ربنا المجيد سبحانه وتعالى.

في الحديث: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»، وإنما كانت لا إله إلا الله أفضل الذكر لأنها ثناءٌ على الله وتمجيدٌ، وكذلك كانت الحمد لله ثناءً على الله فكانت أفضل الدعاء وأحسنه.

من تمجيدنا لربنا سبحانه: أن نمجد ما مجد الله وعظمه مثل العرش، ومثل الكعبة، ومثل مكة، ومثل محمد صلى الله عليه وسلم.

إن من تعظيمنا لله وتمجيدنا له جل في علاه أن نعظم شريعته وشعائره وأمره ونهيه والحلال والحرام، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (32)﴾ [الحج: 32]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 30].

إن ربنا المجيد سبحانه؛ لعظمة مجده يستحق جل جلاله في قلوب العباد أكمل التعظيم والتمجيد والثناء، متى استقر ذلك في القلب لهَجَت الألسن، بل تحركت القلوب قبل الأفواه بالذكر واشتغلت بالثناء على الله، فهي بين تكبيرٍ وتحميدٍ، بين تسبيحٍ وتهليلٍ، تطرَب لذلك لأنها تنغمس في هذا المعنى العظيم.

ربنا المجيد سبحانه وتعالى؛ بكريم عطاياه، وعظيم فضله ونواله وإحسانه، وكمال ما بلغه بأسمائه وصفاته، يجعل هذا المعنى العظيم في قلوبنا -أمة الإسلام- قلوبًا طائعةً مخبتةً مستجيبةً، هو كذلك الأمر عندما نعيش معنى اسم ربنا المجيد سبحانه وتعالى.

اللقاء الثالث والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(المقيت)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في كتاب التوابين لابن قدامة رحمه الله أن الأصمعي لقي بالبصرة رجلًا من الأعراب على قعودٍ له، فقال له: ممن أنت؟، قال الأصمعي: من بني الأصمع،

قال: أنت الأصمعي؟، قال: نعم

قال: ومن أين أقبلت؟، قال: أقبلت من مكان يتلا فيه كلام الرحمن -وقد كان خارجًا من مسجد البصرة- فقال الأعرابي: وهل للرحمن كلام يتلوه الآدميون؟

قال الأصمعي: نعم، فقال الأعرابي: أسمعني شيئًا منه.

قال الأصمعي: أنزل عن قعودك، فنزل، فتلا عليه سورة الذاريات؛ حتى بلغ قول الله سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)﴾ [الذاريات: 22]

فالتفت الأعرابي وقال: هذا كلام الرحمن؟

قال الأصمعي: أجل والله، إنه كلامه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم.

فصاح الأعرابي متعجبًا، ثم استوقفه وقال: حسبك، ثم نحر بعيره، وقطع لحمه مفرقًا إياه بجلده، وقال: أعني على تفريقه، قال: فجعلنا نوزعه على من أقبل ومن أدبر حتى نفذ، ثم ولى الأعرابي مدبرًا نحو الصحراء وهو يردد: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)﴾ [الذاريات: 22].

قال الأصمعي: فلمت نفسي، لم أنتبه لما انتبه له الأعرابي.

قال: فحججت مع الرشيد حتى إذا دخلنا مكة ونحن حول الكعبة سمعت هاتفًا من خلفي بصوت نحيل، فالتفت فإذا هو صاحبي الأعرابي نحيلًا مصفرًا، فدعاني فأتيته، فأخذني خلف المقام وقال: أسمعني كلام الرحمن

قال: فتلوت عليه سورة الذاريات حتى بلغت: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)﴾ [الذاريات: 22].

قال الأعرابي: إي والله لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، قال: أو غير ذلك؟، قلت: نعم، فتلوت الآية التي بعدها: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (23)﴾ [الذاريات: 23]، فدهش الأعرابي وقال: سبحان الله!! من الذي أغضب الله حتى يُقسم؟! من الذي أغضبه؟! فما زال يكررها: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)﴾ [الذاريات: 22].

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا (85)﴾ [النساء: 85].

في موضع واحد من القرآن فقط جاء اسم الله سبحانه وتعالى المقيت، ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا (85)﴾ [النساء: 85].

المقيت على وزن مفعل، من الفعل أقات، واختلف في معناه:

فقيل: المقيت يعني معطي الأقوات.

وقيل: معناه المقتدر.

وقيل: معنى المقيت القائم على الشيء والمدبر.

وقيل: بمعنى القدير.

الفعل قات يقوت من القوت، وهو من الرزق ما يسد الرمق.

قال الزجاج رحمه الله: الاسم المقيت إذا كان من معنى أقات على الشيء

فيكون بمعنى اقتدر، وهو بهذا صفة ذات، أما إذا جاء بمعنى أعطى القوت فيكون صفة فعل.

وقيل: المقيت بمعنى الشهيد والحافظ والرقيب سبحانه وتعالى.

إذا نظرنا إلى اسم المقيت سبحانه، وهو في أحد دلالته من يعطي القوت سبحانه، فالأمر كما قال الغزالي رحمه الله تعالى: "المقيت الذي يخلق الأقوات، ويعطيها لعباده، ويوصلها إليهم، فيوصلها إلى أبدانهم -وهي الأطعمة- ويوصلها إلى قلوبهم وأرواحهم -وهي المعرفة- فيكون قريبًا من معنى الرزاق بهذا المعنى، إلا أنه أخص، فإن الرزاق بمعنى أنه يرزق القوت وغير القوت، فقد يكون الرزق خلقًا، وقد يكون علمًا، وقد يكون ولدًا، وقد يكون شيئًا آخر".

فإذا جعلنا المقيت بمعنى من يعطي القوت -وهو ما يسد الرمق من الرزق- كان أخص من معنى الرزاق، ولأننا نقرأ في كتاب الله اسمًا من أسمائه فحري بنا أن نقف عَلَى معناه لنتعبد لله عز وجل به.

وفي صحيح البخاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من دعائه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّد قوتًا».

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (10)﴾ [فصلت: 10]، سبحان المقيت، سبحانه، كم عدد البشر الموزعين اليوم على أنحاء هذه الأرض البسيطة؟

المليارات التي تتناثر عَلَى وجه الكرة الأرضية اليوم، من قدر أقواتها؟! من يرزقها؟! وهم متناثرون في العواصم والمدن والقرى، في الأدغال، على رؤوس الجبال، وفي بطون الأودية.

دعك من البشر، أين أنت عن ملايين الأطنان من الأسماك والحيتان وسائر مخلوقات البحار، فمن الذي قدر أقواتها؟، المقيت سبحانه وتعالى.

فضلًا عن الطيور في أعشاشها، والفراخ في أوكارها، الوحوش والسباع في الغابات، سبحان المقيت، سبحانه وتعالى.

إن جزءًا من إيماننا باسم المقيت سبحانه -ونحن ندرك معناه- أن نلتزم الأدب، فعيب والله على عبد أن يقتات على أمر حرمه الله جل جلاله، أيرزقنا القوت ويفتح لنا أبواب الحلال، ويقدر لنا الأقوات، ثم نبتغي شيئًا من القوت في أمر حرمه على العباد؟!

أما إن المؤمن بالمقيت سبحانه يطلب القوت والرزق من الله جل جلاله.

وفي دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام، لما جاء بهاجر وابنها الرضيع إسماعيل عليه السلام، فأودعهما ببطن هذا الوادي بمكة، قال: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)﴾ [إبراهيم: 37]، هذا هو يقين الأنبياء وتوكلهم عليهم السلام.

وفي دعاء النبي عليه الصلاة والسلام: «اللهم ارزق آل مُحَمَّد قوتًا»، إن دعاءنا وطلبنا للرزق من المقيت سبحانه، وطلبنا للقوت الذي نقتات عليه وابتغاءنا للحلال، واقتصارنا على الطيب منه مما أباح الله جزء من إيماننا باسم المقيت سبحانه.

إن المقيت جل جلاله وهو يقدر الأقوات يقول سبحانه في عظمة خزائنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (21)﴾ [الحجر: 21].

بقدر معلوم، لأنه المقيت جل جلاله، إنزاله للرزق والقوت للخلق بقدر معلوم ليس عجزًا -تعالى الله- لكنه تأديب للعباد، أوما سمعتم الله يقول: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27)﴾ [الشورى: 27].

يجوع ليذكر الله، ويشبع ليشكر الله، فسبحان الله المقيت سبحانه وتعالى.

اللقاء الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(النصير)

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعد الله أوقاتكم بالمسرات، بعث الله نبيه نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قومه، فاجتهد كأشد ما يجتهد الأنبياء عليهم السلام في دعوة أقوامهم وهدايتهم إِلَى الإيمان بالله جَلَّ جَلَالُهُ، مكث فيهم ألف سنة إِلَّا خمسين عامًا، ما ترك عَلَيْهِ السَّلَامُ سبيلًا ولا منهجًا إِلَّا سلكه.

دعا قومه ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، فما زادهم ذلك إلا فرارًا، كما حكى الله عنه، ولمَّا أَيِس، وتجاوزوا حدهم في الطغيان والتكذيب، والأذى والعناد، توسل بالنصير سُبْحَانَهُ، دعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118)﴾ [الشعراء: 117، 118].

استجاب له النصير سُبْحَانَهُ، وسخر له جند السماء والأرض، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12)﴾ [القمر: 11، 12]، كان المشهد في نهايته نصرًا عظيمًا؛ لأن النصير تكفل بنبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (15)﴾ [العنكبوت: 14، 15].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ (44) وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (45)﴾ [النساء: 44، 45].

في أربع مراتٍ في القرآن الكريم جاء اسم ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النصير، ومع أن النصير صيغة مبالغة، بمعنى أن الله كثير النصرة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده المؤمنين، فإنها جاءت في القرآن مرتين مقترنةً بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: 45].

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: 31].

وجاءت مرتين مقترنةً بالمدح المشتمل عَلَى كمال المعنى: ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: 40]، فالله عَزَّ وَجَلَّ يتولى نصرة عباده بهذه الصيغة الَّتِي تشتمل عَلَى المبالغة. المبالغة كمًّا وكيفًا، فمهما كثر العدو، وتنوعت وسائله، فيبقى الرَّبُّ النصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كافيًا عباده أهل الإيمان.

في الحديث، أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا غزا، قَالَ داعيًا متوسلًا مستنصرًا بربه النصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِك أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»، إنه يستنزل النصر بهذه الكلمات، متوسلًا بهذا الاسم العظيم النصير.

وفي صلح الحديبية، لمَّا كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع سائر الصحابة يعيش صدمة الموقف غير المتوقع؛ فقد جاؤوا محرمين بالعمرة، لكن قريشًا تعنتت وأبت، وفرضت في شروط الصلح أن يرجع النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأصحابه معه ذلك العام، ولا يدخلوا مكة، عَلَى أن يعودوا بالعمرة في العام القادم.

جاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محاورًا، قائلًا: يا رسول الله ألست نبي الله حقًّا؟ قَالَ: بَلَى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ألسنا عَلَى الحق، وعدونا عَلَى الباطل؟ قَالَ: بَلَى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عمر: فعلام نعطي الدَّنيَّة في ديننا إذن؟، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي».

مع أن اسم النصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما جاء إِلَّا في تلك المرات الأربعة في القرآن الكريم، إِلَّا أنه جاء بالمصدر منسوبًا إِلَى الله، وبالفعل الَّذِي يحمل أيضًا معنى النصرة الَّتِي يتكفل الله عَزَّ وَجَلَّ بها لعباده.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)﴾ [الروم: 4، 5].

قد يتبادر إِلَى الذهن أن النصرة هنا هي النصر عَلَى الأعداء، بتمكين أهل الإيمان، وتثبيتهم، وكتابة الغلبة لهم عَلَى عدوهم، وهزيمة عدوهم في ميادين اللقاء، وفي ساحات المعارك، وعَلَى أرض الجهاد، نصرًا تتم به الفتوحات، ويؤسر به العدو، ويُغنم ما معه من سلاحٍ ومالٍ وعتاد، وَهذَا صحيح.

لكن انحصار النصرة في هذَا المعنى تضييقٌ لمعنًى أوسع من ذلك بكثير، ألا إن نصرة الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده تكون بتثبيت أقدامهم عَلَى مرضاته، عَلَى طاعته، بالثبات عَلَى الحق، وعدم التزحزح أو التراجع أو الانعكاف للباطل، أو الاستجابة لمطالب الطغاة والمكذبين لله ورسله، المحاربين لدينه وأوليائه.

نعم فثبات المؤمن عَلَى إيمانه، وتثبيت الله عَزَّ وَجَلَّ له، نصرٌ كريم من ربٍّ نصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قُتل أصحاب الأخدود، وحكى القرآن ذلك المشهد في إبادتهم وحرقهم عن آخرهم، فما بقي منهم أحد، لكن الله قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: 11].

كان فوزًا، والمحرقة الَّتِي كانت رغم ثباتهم عَلَى الحق، وإيمانهم، وعدم استجابتهم لضغوط الكفر والباطل، كانت نصرًا مؤزرًا.

النصير سُبْحَانَهُ يُلهم النفوس المؤمنة ثباتًا عَلَى الحق، النصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجعل العبد مهما كانت أوضاعه في ضعفٍ، وظروفه في تراجعٍ، يجعله بثباته وقوته الَّتِي يمده بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أكثر قوةً فينتصر، ينتصر أولًا عَلَى نفسه الأمارة بالسوء، عَلَى الهوى الَّذِي ينازعه في داخله، عَلَى الباطل الَّذِي يراوده، عَلَى شيطانه الَّذِي يؤزه نحو المعاصي والمنكرات أزًّا.

ينتصر إذا ثبت عَلَى الحق، فكانت صولةً عَلَى شيطانه وهواه ونفسه الأمارة بالسوء، ينتصر عندئذٍ عَلَى العداء في ميادين اللقاء، وتكون الكلمة لله، وتُرفع راية الإسلام خفاقةً.

النصر صورٌ شتى، والالتجاء إِلَى الرَّبِّ النصير مع استشعار هذَا المعنى، وَالتَّوَسُّل به في الدُّعَاء، واستنزال النصر من الله عَزَّ وَجَلَّ بأعلى مراتبه، وبأوسع مفاهيمه، يكتب لأهل الإيمان حياةً ملؤها السعادة والثقة والثبات، المنطلق من تعظيمٍ لربٍّ عظيمٍ نصيرٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

اللقاء الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الوارث)

مرحبًا بكم أيها الكرام

تحكي كتب التاريخ والسير أن الخليفة هارون الرشيد -رحمة الله عليه- خرج يومًا في رحلة صيد، فمر على رجل يقال له بهلول -قد اعتزل الناس وعاش وحيدًا- فقال: عظني يا بهلول، قال له: أين آباؤك وأجدادك من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيك؟

قال هارون: قد ماتوا، قال: فأين قصورهم؟، قال: تلك قصورهم، قال: فأين قبورهم؟، قال: هذه قبورهم.

قال بهلول: تلك قصورهم، وهذه قبورهم، فما نفعتهم قصورهم في قبورهم.

قال هارون الرشيد: صدقت، زدني.

قال له بهلول: قصورك في الدنيا واسعة، فليت قبرك بعد الموت يتسع، فبكى هارون رحمه الله، وقال: زدني.

قال له بهلول: قد ولاك الله فلا يراك في تقصيرٍ أو تفريط، فزاد بكاء هارون الرشيد رحمه الله، وقال: زدني.

فقال له بهلول: هب أنك ملكت كنوز كِسرى، وعُمِّرت السنين فكان ماذا؟

أليس القبر غاية كل حيٍّ   ويُسأل بعده عن كل هذا؟

قال: أجل، ثم بكى، وزاد بكاؤه.

قيل: فقطع رحلة صيده تلك، وعاد، ثم لزم الفراش مريضًا حتى وافته المنية. وصدق الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40)﴾ [مريم: 40].

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40)﴾ [مريم: 39، 40].

لم يأتِ اسم الوارث سبحانه وتعالى في القرآن الكريم إلا بصيغة الجمع، في مثل قوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (23)﴾ [الحجر: 23].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (58)﴾ [القصص: 58].

وقول الله سبحانه وتعالى في دعاء زكريا عليه السلام: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89)﴾ [الأنبياء: 89].

الوارث الباقي بعد فناء الخلق سبحانه وتعالى، فيرث السماوات والأرض بعد فناء أهلها، وينتهي إليه وحده جل جلاله المِلك أكمله مُطْلَقًا، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: 40].

قال الطبري رحمه الله تعالى: "وذلك بأن نُميت كل حيٍّ فلا يبقى سوانا إذا جاء ذلك الأجل".

وقال الزجاج رحمه الله: "كل باقٍ بعد ذاهبٍ فهو وارث"

الله عز وجل الوارث، وهذا الاسم الكريم يدل على بقائه سبحانه، وعلى ديمومته، وعلى قيوميته جل في علاه، فهو سبحانه باقٍ بعد فناء الخلق وزوالهم،

من في السماوات ومن في الأرض.

وهو سبحانه خير الوارثين، فيرث الأرض ومن عليها، ولا يبقى في مِلك ما كان في الظاهر مِلكًا للعباد إلا له سبحانه وحده لا شريك له.

ربنا خير الوارثين، وهو سبحانه وتعالى يرث الأرض ومن عليها، وإليه وحده سبحانه وتعالى كلهم يرجعون.

لَمَّا توعد فرعون وأرعد وأرغد وأزبد وجعل يلاحق موسى عليه السلام والفئة المؤمنة معه، قال: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127)﴾ [الأعراف: 127]، عمد نبي الله الكليم موسى عليه السلام إلى زرع الثقة في قلوب أتباعه من أهل الإيمان، وملء صدورهم ثقةً ويقينًا وتفويضًا إلى الله جل جلاله.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: 128].

إن معنى الوارث الذي يمنح النفوس المؤمنة ثقةً وطمأنينةً وركونًا إلى الله، واستعانةً بنصره وقوته، وملكه وغناه سبحانه وتعالى.

أما إنه من المفاهيم التي تستدعي تصحيحًا في ضوء ما نفهمه ونؤمن به من أسماء ربنا الحسنى وصفاته العلا أن ندرك أن مِلكنا يا بني آدم -لما مَلَّكنا الله إياه في هذه الحياة- مِلكٌ ليس يعتريه إلا النقص والزوال؛ لأنه ليس مِلكًا حقيقيًّا، أوَ ما سمعتم ربنا يقول: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7].

فنحن وما نملك في الدنيا إلا مستخلفون عليه، ولسنا نملكه على الحقيقة، بل المالك حقًّا هو الله، وأما تصرفاتنا في الحياة فمِلكٌ لحظيٌّ مؤقتٌ ناقص.

ناقصٌ من حيث الكم، فمهما اتسع إلا أنه محدودٌ في حدود ما منح الله ووهب، ناقصٌ من حيث القدرة أيضًا على التصرف والاستعمال قدرًا وشرعًا.

ثم هو لحظيٌّ مآله إلى الزوال، وانتقاله إلى الورثة.

أوما أدركنا أن الوارث سبحانه مالكٌ على الحقيقة مُلكًا، ومِلكًا لا يتغير ولا يزول ولا ينتهي فهو المِلك الحقيقي.

عندما تؤمن النفوس بمعنى اسم الوارث سبحانه وتعالى تستلهم، تسأل، تطلب من ربها الوارث سبحانه ما شاءت من حاجاتها، من مقاصدها، من رغباتها في هذه الدنيا وفي الآخرة.

أما الآخرة: فالمطلب الأعظم الذي يرثه العباد من ربهم الوارث سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (63)﴾ [مريم: 63].

أما الفردوس؛ فقد قال الله سبحانه وتعالى وهو يذكر صفات أهلها من المؤمنين أرباب الفلاح، قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)﴾ [المؤمنون: 10، 11]، فسلوا الله الوارث أن يبوِّئنا وإياكم ووالدينا ووالديكم وذرياتنا والمسلمين أجمعين منازل الفردوس بفضله وكرمه العظيم.

اللقاء السادس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الولي)

مرحبًا بكم وحياكم الله

في أعقاب غزوة أحد -كَمَا تَعْلَمُونَ- أقبل أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وكان إذ ذاك مشركًا- فأشرف عَلَى القوم فجعل ينادي: أفي القوم مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ والنبي عليه الصلاة والسلام في الشعب يقول لأصحابه: «لَا تُجِيبُوهُ»، فنادى: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «لَا تُجِيبُوهُ».

ثُمَّ قال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا تُجِيبُوهُ»، فنادى أبو سفيان: أمَّا هؤلاء فقد قُتلوا جميعًا، إنهم لو كانوا أحياءً لأجابوكم، فما تمالك عمر رضي الله عنه نفسه أن قَالَ: لقد أبقى الله عليك ما يخزيك يا عدو الله، فَقَالَ أبو سفيان بحميَّة الجاهلية: أُعْلُ هُبَل، فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: «أَجِيبُوهُ»، قالوا: ما نقول يا رسول الله؟، قَالَ: «قُولُوا اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ»، فَقَالَ أبو سفيان: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: «أَجِيبُوهُ»، قالوا: ما نقول يا رسول الله؟، قَالَ: «قُولُوا، اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ».

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9)﴾

[الشورى: 9].

تكرر اسم الولي سبحانه وتعالى في القرآن الكريم كثيرًا، في مثل قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28)﴾ [الشورى: 28].

وفي مثل قوله تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: 257].

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا».

وجاء أيضًا في الكتاب الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (11)﴾ [محمد: 11]، فالله سبحانه الولي، وهو مولى المؤمنين.

<u>أما الولي في اللغة:</u> فيأتي بمعنى المتولي للأمر والقائم به، كما يقول الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن ذلك يقال: ولي اليتيم، وولي المرأة في النِّكَاح، -يعني- من يتولى الأمر ويقوم به ويشرف عليه.

فالله عز وجل متولي أمر الخلائق، القائم بتدبيرها سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، وَهذَا في اللغة من الْوَلْيِ بمعنى القرب، ويأتي -أيضًا- في اللغة الولي من الموالاة -وهي النصرة- كذلك بمعنًى آخر في اللغة، وبهذا فإن

معنى الآية: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 257]، كما يقول الإمام الطبري رحمه الله: "أي نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه".

ومنه الآية الكريمة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [محمد: 11]، فإذا تولى الله عبدًا من عباده فإن **الولاية تكون عامةً بمعنى** التدبير والتولي للأمر والقيام بشؤون الخلق إنسهم وجنهم، أحيائهم وجماداتهم، فخالق الخالق وحده هو المتولي لأمر خلقه جل في علاه.

والولاية الثانية: الخاصة بعباده وأوليائه من يتولاهم ربنا بحفظه بنصره، يتولاهم بتأييده وتوفيقه، ومنه الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 257].

مِمَّا يدل عليه اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الولي: تنزيهه جل جلاله، أن يكون في ولايته لأحدٍ أو في ولاية أحدٍ له سبحانه شيء من الذل، ولهذا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)﴾ [الإسراء: 111].

فالله أكبر، سواءٌ كانت ولايةً عامةً لجميع خلقه بالتدبير والخلق والعلم والإحاطة، أو كانت ولايةً خاصةً بعباده المؤمنين وأوليائه المتقين.

إن من معاني اسم الله تَعَالَى الولي -أَيُّهَا الإخوة الكرام- أن يعيش العبد في كنف هذَا الاسم العظيم من أسماء الله الحسنى معنى القرب من الله؛ لأن الله وليه سبحانه وتعالى، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 257]،

فمن عاش هذَا المعنى وجد في ثناياه مما يبعث عَلَى القوة والطمأنينة وعدم إصابته بمكروهٍ والنصر عَلَى الأعداء مهما كان عددهم وعتادهم، والله يقول: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)﴾ [التوبة: 51].

من كان الله وليه اجتهد في تصفية أعماله وإخلاصها، في مباعدته ومجافاته عما يُغضب الله، وترك المعاصي والسيئات، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123)﴾ [النساء: 123].

من كان الله وليه وجد ما يبعث عَلَى قوته واطمئنانه وهو يركَن إِلَى ربٍّ عظيم ولي، فيكون له من معاني الاعتداد والنصرة والقوة ما هو لائقٌ بربٍّ عظيم سمى نفسه بالولي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يا أحبة، كان من دعوات نبينا عليه الصلاة والسلام ما نقوله في وترنا في القنوت: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»، إنها طلب الولاية من الله، فإذا تولى الله عبدًا اصطفاه واجتباه، وأكرم عليه وهداه، وبلغ العبد مرتبةً يقال لها ولاية الله، فيكون العبد وليًّا لله.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)﴾ [يونس: 62]، والنبي عليه الصلاة والسلام قد قَالَ الله له: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196)﴾ [الأعراف: 196].

ولنا في قصة نبي الله يوسف عليه السلام أعظم العِبْرَة والعظة والطمع في نيل ولاية الله، لمَّا تولى الله أمر نبيه يوسف عليه السلام، أحوج القافلة إِلَى الماء لتأتي البئر فتخرجه مما فعله به إخوته، ثم أحوج امرأة العزيز للولد حتى تأخذه وتتبناه، ثم أحوج أهل السجن لتعبير الرؤى، فيكون فيه خروجه من ذاك المكان.

وأحوج عزيز مصر إِلَى أن يتخذه وزيرًا فكان له العظمة والرفعة والشأن، ثم أحوج إخوته للعودة إليه فكان له ما كان في ختام القصة، وقد قَالَ في آخرها: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)﴾[يوسف: 101].

فاللهم أنت ولينا في الدنيا والآخرة أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا يا رب بالصالحين.

جزاكم الله خيرًا...

